
كتابي
رأيت وسمعت لك
في الصين
عدد ممتاز
حلمي مراد

كتابي

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الإغريق

الكتاب السبعون (السنة الخامسة) يناير ١٩٥٨

الاشتراكات ومجموعة الأعداد السابقة: اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة

تليفون : ٥٩٥٥٦


نافذة كتابي تطل على العالم
رأيت وسمعت لك.. في آسيا
اليابان
فورموزا
الصين
الباكستان
نيبال
الهند
بورما
سيام
المحيط الهادي
المحيط الهندي
سيلان

الاهـــــداء

الى السيد الرئيس **جمال عبد الناصر** ، الذى رفع الحجاب وأزال القطيعة بين مصر والصين الشعبية ، فتعانق بفضله أعرق شعبين فى التاريخ !

والى السيد **كمال الدين حسين** ، وزير التربية والتعليم ، الذى وطد الصلات الثقافية بين البلدين بعقد الاتفاقية الثقافية بينهما ، التى تمخضت عن ايفاد الوفد الثقافى الرسمى من جمهورية مصر الى جمهورية الصين الشعبية فى اكتوبر عام ١٩٥٧

والى السيد **يوسف السباعى** ، سكرتير المجلس الاعلى للفنون والآداب ، الذى تفضل فرشحنى لعضوية هذا الوفد

والى السادة رئيس واعضاء الوفد الثقافى : **الدكتور السعيد مصطفى السعيد ، والدكتور احمد نجيب هاشم ، والاساتذة : عبد الواحد على ، وعبد المجيد شديد ، ومحمود الحكيم ، وسعيد حامد الصدر ، ومحمود البدوى** .. الذين كانت روحهم النبيلة وزمالتهم الكريمة أثناء الرحلة ، خير عون لى فى سعيى الدائب لجمع مادة هذا الكتاب ، ومطاردة المعلومات الخاصة به ، والتقاط الصور له فى كل مكان .. على حساب راحتهم فى بعض الأحيان !

والى السادة ممثلى مصر فى السفارات والقنصليات المصرية فى الصين واليابان والهند – وفى مقدمتهم السيد **حسن رجب** سفير مصر فى (بكين) ، والسيد **مصطفى يوسف** سفير مصر فى (طوكيو) ، والسيد **عبد السلام بدران** المستشار الثقافى بسفارة مصر فى (بكين) – الذين ذللوا لى الكثير من المصاعب والعقبات ، فى كل مناسبة ..

والى شعب الصين العريق ، الطيب ، الودود ، الذى أبدى من مظاهر الحفاوة والترحيب الحار بنا ، فى كل خطوة ، ما أجدنى عاجزا عن وصفه ! .. **بل أبدى من مظاهر ((التعلق)) الشديد – الصادق ، المخلص – بمصر ، وبنا ، ما يكاد يتجاوز درجة الصداقة الى .. الحب !**

والى ممثلى هذا الشعب من الموظفين الرسميين ، والادباء ، والمترجمين ، فى شتى انحاء الصين ، الذين يسروا لى وسيلة التفاهم مع كل من أردت التحدث اليه – (وكانت عقبة اللغة تحول دون ذلك ، لولا جهودهم !) – وأمدونى بكل ما طلبت من بيانات ، ومعلومات ، واجابات ..

.. واليك انت ، ايها القارىء العزيز .. يا من لم يغب عن خاطرى لحظة طيلة الوقت ، وأنا أجمع من أجله هذه المادة ..

.. أهدى ثمرة هذه الرحلة

والله ولى التوفيق

حلمى مراد

انا عائد من الصين الشعبية .. واليابان .. والهند !

عائد من رحلة تغيبت فيها عن ارض مصر ٤٧ يوما ، قطعت خلالها نحو خمسين الف كيلومتر ، منها نحو ٣٥٫٦٠٠ كيلومتر بالطائرات ، والباقى بالقطارات والسيارات ..

عائد وفى جعبتى من المشاهدات والذكريات والصور ، مادة قد ينفد صبر القارىء قبل ان تنفد !

وقصة هذه الرحلة تبدأ بمذكرة رفعت الى رئاسة الجمهورية من السيد كمال الدين حسين وزير التربيـــة والتعليم ، فى ١٥ سبتمبر الماضى ، جاء فيها :

« ينص البند التاسع عشر من البرنامج التنفيذى للاتفاقية الثقافية بين مصر والصين الشعبية فى عام ١٩٥٦/١٩٥٧ على ان يوفـد كل من الطرفين فى شـهر سبتمبر ١٩٥٧ الى بلد الطرف الآخر وفدا ثقافيا قوامه ١٥ من رجال التربية والتعليم والفنانين والكتاب فى زيارة تستغرق شهرا أو شهرين .

« وقد رأت هذه الوزارة ان يكتفى بايفاد ٨ اعضاء فقط ، ولمدة شهر واحد ، على ان يؤلف الوفد من :

عدد		عدد	
٣	عن وزارة التربية والتعليم	١	عن التعليم الجامعى
٢	عن الفنانين المصريين	٢	عن الكتاب المصريين

« وقد كتب فى هـذا الشأن الى المجلس الأعلى للجامعـات لترشيح عضو عن التعليم الجامعى ، وللمجلس الأعلى للفنون والآداب لترشـيح عضوين عن الفنـانين ، وعضوين آخرين عن الكتاب .

« وبنـاء على الترشيحات التى وردت ، تألف الوفـد على النحو التالى :

١ ـ السيد / **السعيد مصطفى السعيد**
مدير جامعة الاسكندرية رئيسا للوفد
٢ ـ السيد / **احمد نجيب هاشم**
وكيل وزارة التربيةوالتعليم عن وزارةالتربية والتعليم
٣ ـ السيد / **عبد الواحد على**
مدير الادارة العامة لاعداد
المعلمين والمعلمات «
٤ ـ السيد / **عبد المجيد شديد**
مدير مكتب السيد وزير
التربية والتعليم «
٥ ـ السيد / **محمود محمد الحكيم**
استاذ العمارةبكلية الهندسة
بجامعة الاسكندرية عن الفنانين
٦ ـ السيد / **سعيد حامد الصدر**
وكيل كلية الفنون التطبيقية
بالأورمان «
٧ ـ السيد / **حلمى مراد** (أديب) عن الكتاب
٨ ـ السيد / **محمود البدوى**
أحمد حسن عمر ـ بالادارة
العامة لحسابات ومشتريات
الحكومة بوزارة المالية «

والأمر معروض على رئاسة الجمهورية رجاء التفضل بالموافقة ، مع تفويض السيد وزير التربية والتعليم فى تحديد موعد سفر الوفد خلال السنة المالية الحالية

١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٧ وزير التربية والتعليم

(كمال الدين حسين)

وفى ٢٢ سبتمبر صـــدر « قرار رئيس الجمهورية رقم ٨٨٧ لسنة ١٩٥٧ » ، وهذا نصه :

الى وزارة التربية والتعليم

قرر السيد رئيس الجمهورية فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥٧ الموافقة على ما جاء بهذه المذكرة

وقد ابلغت وزارة الخارجيـة والمالية والاقتصاد وجامعـة الاسكندرية هذا القرار

السكرتير العام لمجلس الوزراء
(امضاء)

* * *

• ثم بدأت اجراءات الاستعداد للرحلة ، ووضع برنامجها .. وعندئذ رؤى أن تمتـد مهمة الوفدالى اليابان ايضا، تنفيذا لاتفاقيةثقافية سابقة بينهـا وبين مصر ، واقتضى ذلك مد مدة الرحلة من شهر الى شهر ونصف .. وطبقا لهذا البرنامجاستبعدت فكرة اتخاذ الطريق الشمـالى الى الصين ، الذى يمر بروسيا (طريق موسكو ـ سيبريا ـ بكين) .. وتقرر أن يسلك الوفد الطريقالآخر الجنوبى، المار بالهند ، (طريق بومباى ـ دلهـــى ـ كلكتـــا بانجكوك ـ هونج كونج)



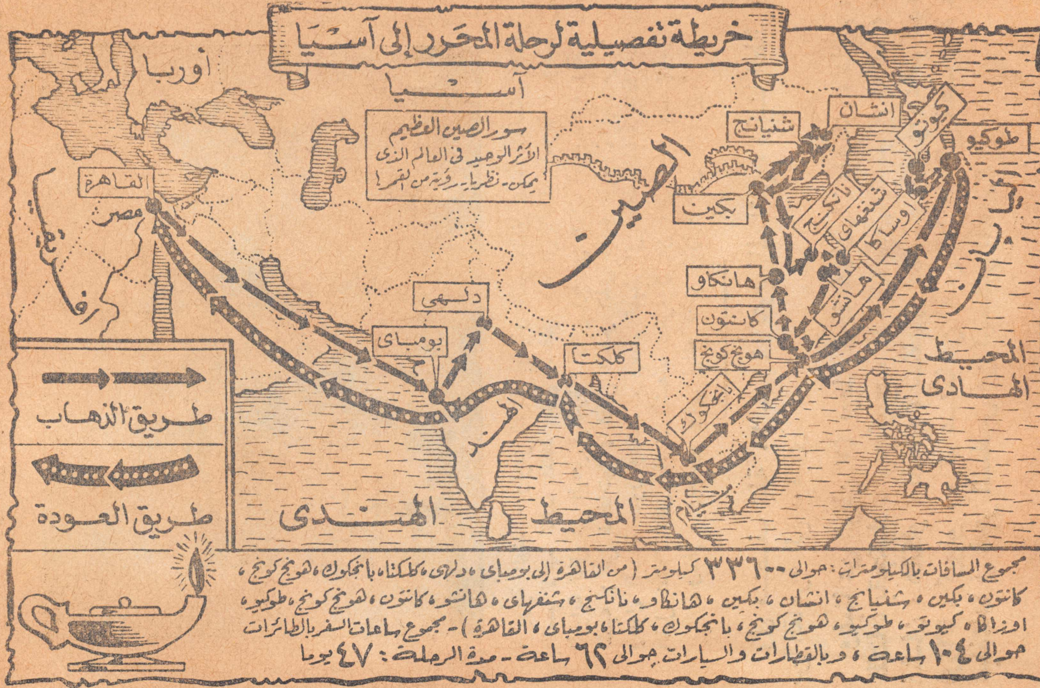
النصب التذكارى للمهاتما غاندى فى بومباى ، وهو غير مقبرةالزعيم الموجودة فى دلهى الجديدة



« بوابة الهند » وترمز لمدينة بومباى التى أطلق عليها الانجليز هذا الاسم لأنها كانت المنفذ الذى تسللوا منه الى الهند بأسرها ! وهذه البوابة تطل على البحر مباشرة ، وهى آية فى جمال الهندسة ، وتكاد تشبه (فى ضخامتها) قوس النصر الذى أقامه نابليون بباريس • وحول البوابة سور ومقاعد ، وسلم تهبط الى حافة الماء ، فاذا جاء الليل امتلأ المكان بأفراد الشعب المكروبين من الحر ، ما بين جالس ونائم ، وبعضهم يقضى ليلته تحت البوابة حتى الصباح •

وفى منتصف ليلة ٢٠ ـ ٢١ اكتوبر الماضى ، ركبنا الطائرة من القاهرة الى بومباى

وغبنا عن الوطن ٤٧ يوما ، زرنا خلالها : بومباى ، دلهى ، كلكتا ، بانجكوك ،هونج كونج ، كانتون، بكين، شنيانج (مكدن) ، أنشان ، هانكاو ، نانكنج ، شنغهاى ،هانشو ،كانتون ، طوكيو، اوزاكا ، كيوتو •• ثم عدنا من نفس الطريق الى القاهرة ، فبلغناها فى فجر السادس من ديسمبر المنصرم



خريطة تفصيلية لرحلة المحرر إلى آسيا
أوربا
آسيا
سور الصين العظيم
الأثر الوحيد فى العالم الذى يمكن - نظريا - رؤيته من القمر!
الصين
القاهرة
مصر
بومباى
دلهى
كلكتا
بانجكوك
هونج كونج
كانتون
هانكاو
بكين
شنيانج
انشان
نانكنج
شنغهاى
هانشو
اوساكا
كيوتو
طوكيو
الهند
المحيط الهندى
المحيط الهادى
طريق الذهاب
طريق العودة
مجموع المسافات بالكيلومترات: حوالى ٣٣٦٠٠ كيلومتر (من القاهرة إلى بومباى ، دلهى ، كلكتا ، بانجكوك ، هونج كونج ، كانتون ، بكين ، شنيانج ، انشان ، بكين ، هانكاو ، نانكنج ، شنغهاى ، هانشو ، كانتون ، هونج كونج ، طوكيو ، اوزاكا ، كيوتو ، طوكيو ، هونج كونج ، بانجكوك ، كلكتا ، بومباى ، القاهرة) - مجموع ساعات السفر بالطائرات حوالى ١٠٤ ساعة ، وبالقطارات والسيارات حوالى ٦٢ ساعة - مدة الرحلة : ٤٧ يوما

وقد سافرت وفى عزمى أن أكتب اليك رسالة من كل بلد نهبطه ، وكل بقعة تطأها اقدامنا .. لكنى كنت واهما .. فلقد كان برنامجنا فى كل مدينة حللنا بها مزدحما الى درجة مرهقة ، بحيث اننى كنت أعود الى غرفتى فى نهاية اليوم وأنا ألهث من فرط التعب والاجهاد .. سيما وقد أخذت على عاتقى ان لا أدع صغيرة أو كبيرة تفلت منى ، ما استطعت الى ذلك سبيلا .. ووجدتنى كلما هممت بالكتابة اليك ، فى فترة فراغ وجيزة ، بين برنامج وبرنامج ، أعود فأرجىء الأمر كى أشغل هذا الفراغ ببرنامج خاص منفرد ، أستنبطه من السؤال والاستقصاء عما قد يكون اغفله برنامج الوفد من معالم أو أماكن جديرة بالزيارة ، كى اختزن لك المزيد من الذكريات ، والمشاهدات ، والانطباعات ..

وهكذا انتهت الرحلة قبل ان أجد من الوقت فسحة لأن اكتب حرفا !

فلما تهيأت — بعد عودتى — للكتابة ، ونثرت أمامى ماا تخمت به جعبتى من صور ، وقصاصات .. أدركتنى حيرة مرة :

من أين أبدأ ؟

وماذا أتناول .. وماذا أدع ؟

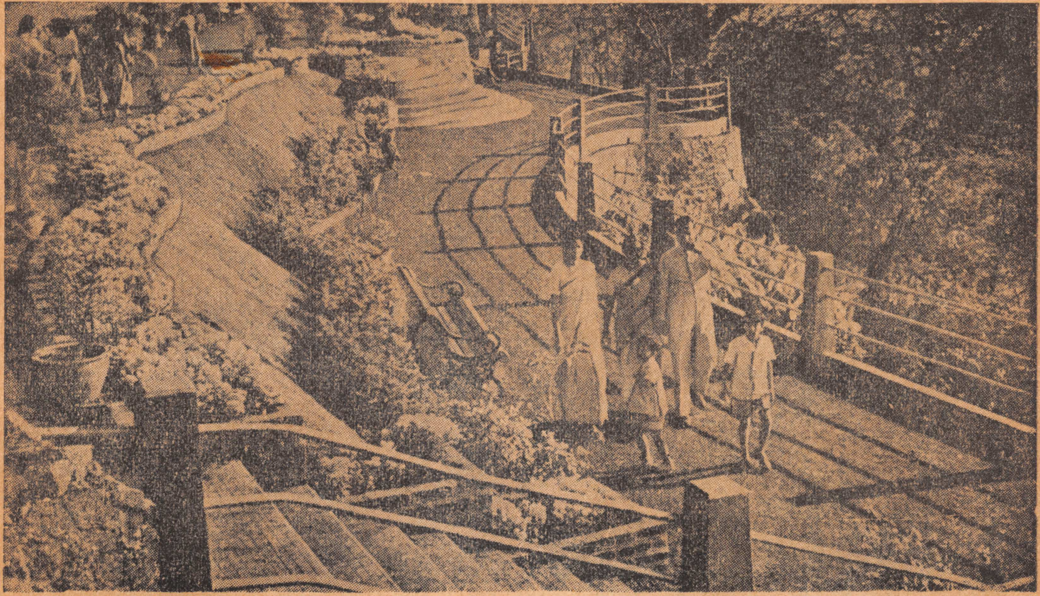
هل ابدأ حديثى وفقا للترتيب الزمنى ، فأكتب لك يوميات الرحلة يوما بيوم ، وساعة بساعة ؟

أخشى لو فعلت ذلك ان ينتهى الكتاب قبل ان نصل الى حدود الصين !

أم نترك الهند حتى نرجع اليها فى طريق العودة ، ونبدأ بالصين ؟

لكنك قد تحتج بأنك تود ان تعرف شيئا عن اليابان !

وهذا يذكرنى بقصة العنزة والحشيش والذئب !



متنزه « كمالا نهرو » أحدث « حدائق بومباى المعلقة » ، وهو – كما ترى – آية من آيات جمال الطبيعة وجمال التنسيق فى آن واحد . ويجد فيه أهل المدينة متنفسا لهم من قيظها ورطوبتها الخانقة ..

نعم .. من اين ابدأ ؟

.. أى بلد من البلاد الثلاثة تحب أن تزور أولا ؟

وعن أية مدينة من مدن كل بلد منها تريدنى أن أحدثك ؟

هل أحدثك عن **(بومباى)** ـ أو كما يطلقون عليها : « بوابة الهند » ـ التى « أهدتها » البرتغال فى عام ١٦٦١ لملك انجلترا « تشارلس الثانى » كجزء من «دوطة» عروسه «كاترين أوف براجانزا » ؟ .. بومباى التى تظهر احدى الخرائط البرتغالية فى القرن السابع عشر انهـا كانت تتألف فى الأصـل من سبع

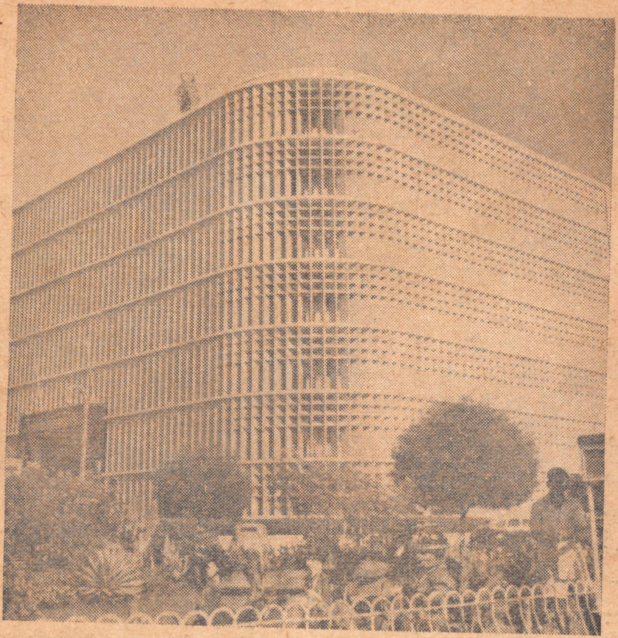


« شاطىء البحرية » ببومباى ، ويطل على خليجها الدائرى الشبيه بخليج (نابولى) بايطاليا ، وكان الانجليز يطلقون عليه « عقد اللؤلؤ » ـ فى جيد امبراطوريتهم السابقة بالطبع !

جزر ، ظلت تتسع رقعتها بتأثير رواسب البحر ، وماتزال !.. بومباى التى تبدو انوارها ليلا للقادم اليها من البحر كعقد من اللؤلؤ — طالما حلى جيد الامبراطورية البريطانية ! — اذ يرسم خليجها الجميل شكل نصف دائرة . **بومباى التى كان شاطئها — منذ قرون — المكان المختار الذى يحوم حوله القراصنة بسفنهم الصغيرة ذات الشراع الاحمر المثلث .. والتى منها عبر البحارة الهنود المحيط الهندى الى افريقيا .. واليها جاء البحارة البرتغاليون فتمكنوا من السيطرة على المحيط والشاطىء، وبذلك بدأ استغلال الغرب للهند !**

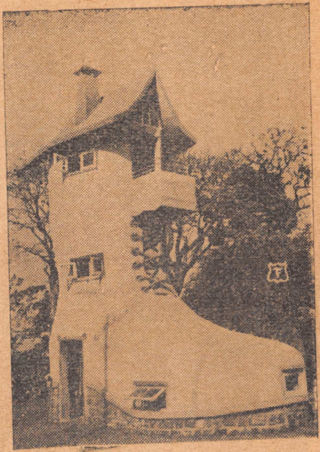


ميدان فيكتوريا ببومباى ، حيث مبنى البلدية الفاخر . وفى بومباى « مئات » من هذه المبانى الضخمة ذات الطراز الفيكتورى ، والطراز القوطى .. الى جانب المبانى العصرية



أحدث عمارات بومباى ، شـيدت على الطراز الامريكى الحديث ، وهى
تخص احدى شركات البترول العالمية

نعم ، هل احدثك عن بومباى التى يفصلها عن القاهرة ٤٣٤٠ كيلومترا ، قطعتها بنا الطائرة فى ١١ ساعة ، دون توقف ؟.. بومباى التى تختلط الحضارات وتتضارب ، فى مبانيها ذات الطراز الهندى ، والقوطى ، والبريطانى «الفيكتورى» ، والاوربى



« حذاء سيدتنا » ، وهو مبنى طريف على شكل حذاء أقيم فى حديقة « كمالا نهرو » ببومباى

الحديث ، والبوذى القديم ، فى الشارع الواحد ؟ .. وعن معابدها التى تمارس فيها طقوس ديانة الهندوس على قارعة الطريق ، فيرى المارة رجالا نصف عراة يحمل بعضهم المباخر ، ويدق البعض الآخر نواقيس ضخمة تصم الاذان ؟ .. وعن حوانيتها وأسواقها حيث تشاهد المفارقة الصارخة بين أناقة النساء المختالات فى ردائهن القومى الجميل ، (السارى) ، وقد زين وجوههن بـ « شامة » حمراء مستديرة فى حجم الحمصة ، فى وسط الجبهة ! .. وبين « دهولة » ورثاثة بعض الرجال من عامة الشعب ، بقمصانهم الطويلة الخارجة عن سراويلهم القصيرة ، وسيقانهم السوداء العارية ، ربما بسبب الفقر ، وربما بسبب القيظ الشديد والرطوبة الخانقة ـ حتى فى اواخر أكتوبر ! ـ وهو طقس يرهق اعصاب أهل المدينة الكبيرة ، ويعطل انتاجهم !

* * *

.. أم احدثك عن **(دلهى الجديدة)** ، عاصمة الهند ، التى لاتزيد مساحتها عن مساحة ضاحية واحدة من ضواحى اية مدينة كبيرة .. دلهى التى رأيناها تتلألأ بالانوار وتموج بالمارة والمتسكعين فى ليلة راس السنة الهندية .. دلهى بشوارعها الفسيحة وحدائقها الشاسعة التى تجعلها اشبه ما تكون



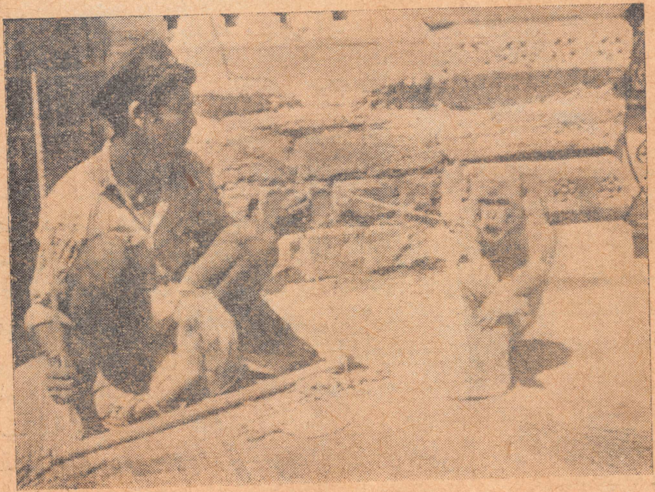
دار البرلمان الهندى بمدينة « دلهى الجديدة » ، وهو أكبر بناء دائرى فى العالم ، اذ يبلغ مسطحه نحو نصف ميل مربع !.. ويشمل قاعتى مجلسى النواب والشيوخ

بضاحية (المعادى) فى القاهرة .. ومبانيها الحكومية الأنيقة النظيفة التى ملأت نفسى حسرة ، وأملا .. وفنادقها الفاخرة الشبيهة بقصور المهراجات ، والتى ماتزال تخصص فيها قاعة خاصة للأمراء والنبلاء الهنود ، لايدخلها سواهم ،بينما تختلط جميع الجنسيات فى قاعة الرقص ، فيخاصر الامريكى هندية ، ويراقص الهندى انجليزية أو ألمانية .. ويخدمك فى قاعة الطعام عشرات من الخدم والسقاة ـ مما يقطع بكثرة الايدى العاملة ، وضآلة الأجور ! ـ وكلهم من الهنود ، فى ثيابهم التقليدية .. حتى رئيسهم الذى يرتدى السترة الاوربية السوداء ـ سترة « الميتر دوتيل » ـ هو الآخر هندى .. وينتشر الجميع حولك ، رهن اشارتك ، ومنهم من يذهب

ويجىء حاملا اليك طبق الطعام الهندى المشهور : « الارز بالكارى » ، فاذا الهب «الكارى» حلقك بناره اللاذعة ــ الأقسى من «الشطة» ! ــ أسرع اليك الساقى الآخر بابريق الماء المثلج ، الذى يحرصون على غليه قبل ذلك ، ضمانا للوقاية من «الكوليرا» المستوطنة فى الهند !

* * *

.. أم أحدثك عن الرحلة الى **(أجرا)** بالسيارات عبر برارى الهند ، بين « النسانيس » الأليفة التى تقفز على جانبى الطريق أو ترمقنا بعيونها الصغيرة المستطلعة .. ثم المرور بمقبرة السلطان « أكبر » ــ مؤسس مدينة أجرا ــ ذات الأبواب

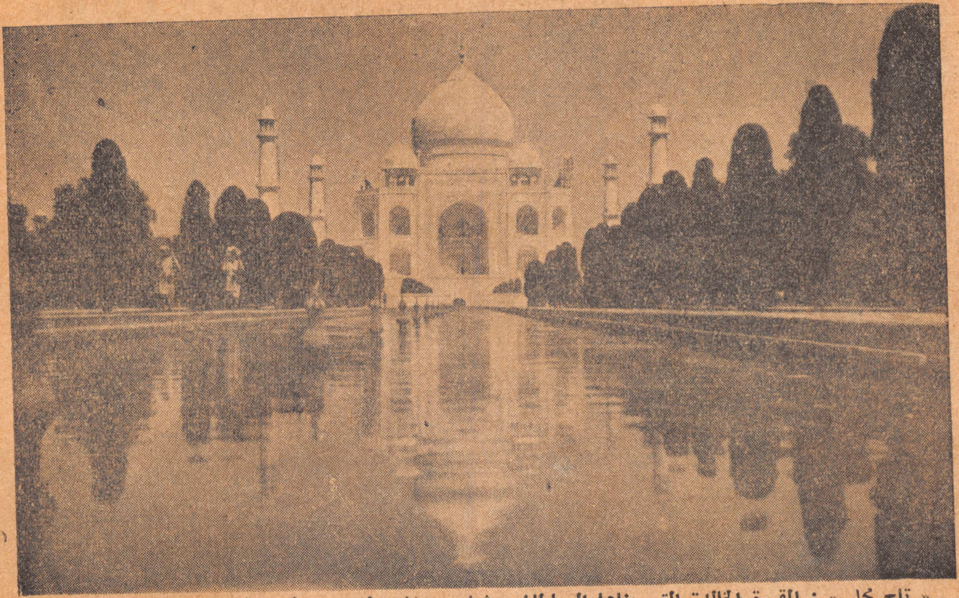


« القرداتى » فى الهند ، يداعب قرده أمام بعض المارة . ما أشبهه بزميله عندنا !

والشرفات العليا المصنوعة كلها من الرخام المفرغ كالدانتللا ، بدقة ووفرة تنمان عن بذخ وصبر عجيبين .. ومواصلة الرحلة بعد ذلك الى مقبرة « تاج محل » ، احدى عجائب الدنيا السبع الحديثة ، **التى شيدها السلطان « شاه جهان » لتضم رفات زوجته المحبوبة « ممتاز محل » ، التى شاركته اعباء الحكم ولازمته فى حملاته الحربية حتى أدركتها منيتها وهى تضع مولودها الرابع عشر ، فحزن عليها حزنا صار يضرب به المثل ، حتى لقد اعتزل الناس وحرم على رعاياه مظاهر السرور ، وعطل مهام الدولة !** ثم شيد لها هذه المقبرة الخالدة التى تعد معجزة خارقة من معجزات الهندسة المغولية تجلى فيها البذخ الجنونى ، سواء فى المبنى الخارجى الشبيه بقصر من المرمر ، بمآذنه وقبابه ومناراته ، وحدائقه ونافوراته ، أو فى الجدران الداخلية المرصعة بالاحجار الكريمة ، تتوسطها المقبرة التى احاطها بسور من الفضة وكساها بطبقة من الذهب بلغت زنتها نحو ثلاثة آلاف رطل . وقد صممت القبة الكبرى بحيث تعكس صدى الصوت كما هى الحال فى قبة كاتدرائية (بيزا) بايطاليا ، المجاورة لبرجها المائل المشهور . وقد استغرق بناء صرح « تاج محل » العظيم احد عشر عاما — من سنة ١٦٣٠ الى ١٦٤١ — جند له خلالها عشرون الف عامل ، تحت اشراف اشهر عباقرة فنون المعمار والزخرفة الذين جلبهم السلطان من أوربا وتركيا وبلاد الفرس والعرب ، فضلا عن الاخصائيين الهنود .. وقد بلغت نفقات هذه المعجزة اكثر من اربعة ملايين من الجنيهات !

★ ★ ★

أم أحدثك عن (**كلكتا**) ، اكبر مدن الهند — (٥ر٢ مليون نسمة) — واضخم مركز لتجارتها مع العالم (٥ مليون طن سنويا) ؟ .. كلكتا التى عاش فيها بناة الامبراطورية البريطانية



« تاج محل » : المقبرة الخالدة التى بناها السلطان « شاه جيهان » لزوجته المحبوبة « ممتاز محل » ، فصارت احدى عجائب الدنيا السبع الحديثة . وقد استغرق بناؤها ١٢ عاما (١٦٣٠ - ١٦٤١)



المبنى الفاخر الذى أقامه الانجليز فى كلكتا تذكارا لملكتهم الاستعمارية « فيكتوريا » ، وفى مواجهته من الناحية الاخرى تمثال للورد « كيرزون » يمتد أمامه بساط سندسى أخضر جميل لا تدرك العين مداه

من الانجليز فشيدوا القصور وحلبات السباق والحدائق ، وأقاموا التماثيل والصروح التذكارية لملكتهم ((فيكتوريا)) وساستهم من غلاة المستعمرين ، ونعموا طويلا بخيرات البلاد الوفيرة التى حرموا منها أهلها ، فجعلوا احياء سكناهم ضواحي فاخرة للترف والمتعة ، وتركوا أحياء الأهلين غاية فى الضيق والازدحام والقذارة ! .. ثم نعرج فى جولتنا على الميناء ، حيث

تتزاحم السفن القادمة والذاهبة الى محيطات الشرق والغرب، حاملة صادرات « القارة » الضخمة ووارداتها الآتية من شتى الأقطار .. ونزور بعد ذلك أشهر معابد المدينة (وفى مقدمتها معبد « باريشنات » ـ أو «جين» ـ المشهور ،ومعبد «بودرى داس ») ، واجمل حدائقها وبحيراتها .. ثم نختم زيارتنا للمدينة بجولة بين ملاهيها الليلية التى تقدم ألوانا من فنون الرقص والباليه الهندية ، وفى مقدمة هذه الملاهى ملهى « شهرزاد » الملحق بفندق « جراند هوتيل » ، الذى يقدم لك الطعام ـ الهندى أو الاوربى ـ فى قاعة رائعة مكيفة الهواء، على انغام الموسيقى التى تعزف من مقصورة ساحرة التصميم و « الديكور » .. ثم ملهى « نيو امباير » ، حيث تقدم الفنانة « روشان كومارى » ألوانا من الرقص الهندى الكلاسيكى .. ومسرح « هومايان » الذى تقدم فيه فرقة «ساشين شانكار» الباليه الرائع : « الصياد والحورية »

والرقص الهندى نوع من العبادة .. عبادة الاله بحركات صامتة وانغام تحاكى تصرفات الانسان فى الحياة ، دون ما كلام .. فرقصة « سيفا » ـ اله الهندوس ، والراقص الاول فى اعتبار الهنود ـ تمثل بعض مظاهر الخليقة ..ورغم اندساس تأثير الثقافة الغربية فى الهند ، فان الباليه الهندى كما يؤديه أئمة من الفنانين والفنانات مثل « اوداى شانكار » و « رام جوبال » ، ما يزال تعبيرا صادقا عن ايمان الهندوس الدينى.. بل انه ، بلغته ذات الايماءات الخفية ، وبمصاحبة الطبول وأدوات الموسيقى الهندية ، قد ظفر باعجاب الغرب وتقليده ، فى بعض الاحيان !

والهندوس يؤمنون بوحدة الوجود كله . والآلهة جميعا فى نظرهم هم ممثلون متعددون للاله الواحد الأعلى « براهما » ، الخالق . وعلى ذلك فهم يعتبرون الههم « سيفا » رمزا للموت والحياة الجديدة التى تعقبه .. ويعتبرون « فينشو » ، الاله

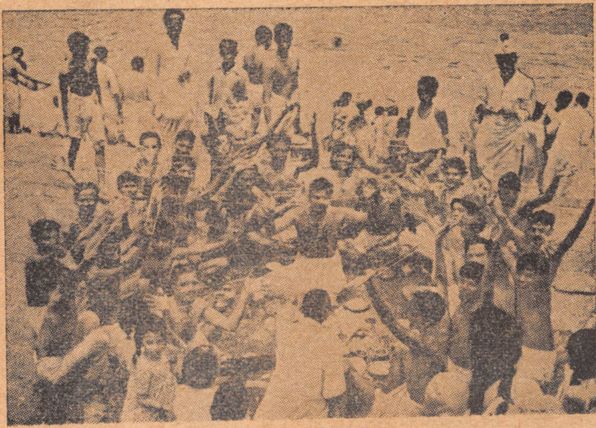


راقصة الباليه الهندية « روكمانى ديفى » ، التى طافت بالهند من قرية الى قرية تجمع من عجائز الفن القديم ماكاد يندثر من فنونهن التقليدية ! (وترى على جبهتها « شامة » الجمال الحمراء المستديرة)

الذى يحفظهم من الهلاك .. الخ . وحياة الهندوس حافلة بالطقوس والاحتفالات والاعياد التقليدية التى تقام للآلهة .. ومن هذه الاعياد : عيد « ديبا والى » ، أو عيد المصابيح ، الذى تضاء فيه الشعلات فى كل بيت .. وعيد « رامليلا » الذى يحتفل فيه بحرق تمثال يرمز الى ملك الشياطين !.. الخ

★ ★ ★

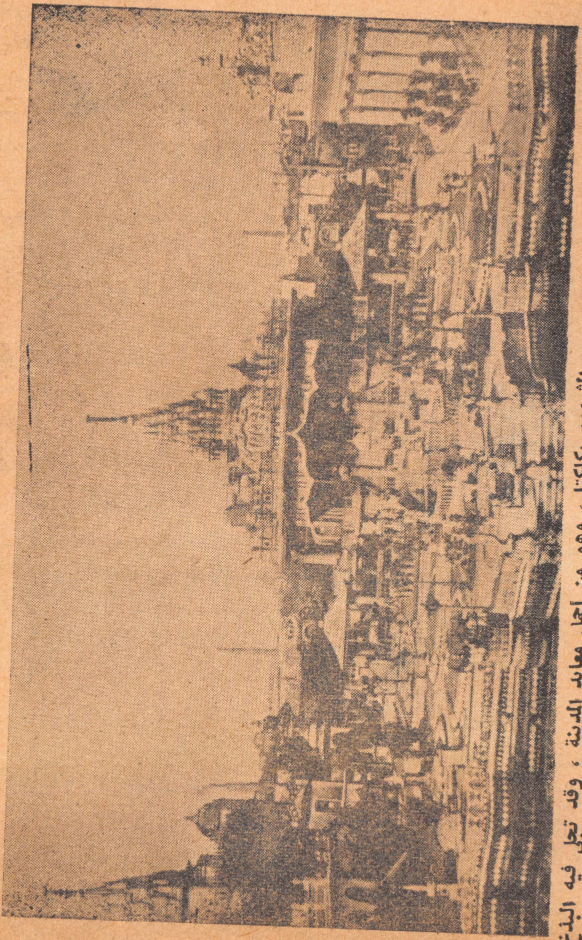
• **ولأعد** من هذا الاستطراد الى الحيرة التى تملكتنى حين تهيأت للكتابة : هل أبدأ بالحديث عن هذه الاربع من مدن الهند ،



منظر يمثل « احتفال الخيوط » ، فى يوم عيد « راكشا باندهان » ، أحد الاعياد القومية فى الهند

وعن معالمها ، وبعض طرائف من تاريخها ، وصور من ماضيها وحاضرها .. أم أحدثك أولا عن المرحلة الثانية من مراحل الرحلة .. المرحلة التى تبدأ بهبوط الطائرة فى مطار (بانجكوك) عاصمة سيام ، مدينة المعابد الأثرية الهامة وسيارات التاكسى التى تسير بسرعة مخيفة - لاتدانيها سوى سرعة وتهور سائقى التاكسى فى (طوكيو) باليابان ! ؟ - **ولم لا أعرف (بانجكوك) بانها المدينة التى يلهبك فيها القيظ ، فى منتصف الليل - فى نوفمبر وديسمبر - أضعاف ما يلهبك فى (أسوان)، فتدرك لأول مرة معنى ان تكون فى خط الاستواء ، ولو كنت ماتزال على بعد ١٣ درجة الى الشمال منه !**

وتدين سيام - أو (تايلاند) كما يسمونها الآن - بفضل



معبد « باريشناث » – أو « جين » – الشهور بكلكتا ، وهو من أجل معابد المدينة ، وقد تجلى فيه البذخ الهائل وروعة فنون المعمار والزخرفة

ادخال المدنية الحديثة اليها الى ملكها « مونجكوت » ، الذى تولى العرش عام ١٨٥١ ، والذى احتاج الى عدة سنوات كى يتخلص من تقاليده القديمة العجيبة ، التى كانت تقع فيها مسئولية ادارة « المطبخ الملكى » مثلا على عاتق سبعة من « الضباط » ! وكان البلاط مزدحما بعدد كبير من الاشخاص الذين يتقاضون مرتبات كبيرة ، مقابل عمل ضئيل : كان من بينهم عدد من الصائغين الاخصائيين فى صياغة الحلى ، وعدد آخر من السحرة ، والفلكيين ، فضلا عن قسم خاص يتألف من الاخصائيين فى الحلاقة وتصفيف الشعر !

ويصل تعداد السفن التى تفرغ شحنتها وتعبأ فى ميناء بانجكوك الف سفينة فى العام ، توزع على ارصفة يبلغ طولها تسعة اميال ، **وعدد كبير من هذه السفن يحمل اخشاب « الساج » ، أو « الدلب الهندى » ، وهى اخشاب صلبة تعيش نحو ألفى عام ، وتستعصى على النمل الابيض !..**

ومن اجمل المعالم فى منطقة بانجكوك برج « وات آرون » الجميل ، الذى يبلغ ارتفاعه ٢٤٣ قدما . وعلى بعد ٤٠ ميلا الى الشمال من العاصمة ، فى جزيرة تتوسط النهر ، يقع القصر الصيفى للأسرة المالكة .. ومن اشهر امثلة الهندسة السيامية « بافيون ايزا وانيتبات » المشيد على اعمدة فى وسط احدى البحيرات !

ولنتوقف عن الاسترسال عند هذا الحد ، فانى اكاد اسمعك تقول : « دعنا من سيام الآن ولنواصل رحلتنا الى الصين واليابان ! » .. فتعال نستقل الطائرة من بانجكوك ، كى تهبط بنا بعد نحو خمس ساعات فى مطار ضيق « محشور » بين الصخور الناتئة من كل جانب ، حتى لتخال جناحى الطائرة يوشكان ان يصطدما بها وهى تهبط هبوطا شبه عمودى الى المطار ! .. وهى عملية خطرة جعلت شركات الطيران تحرم

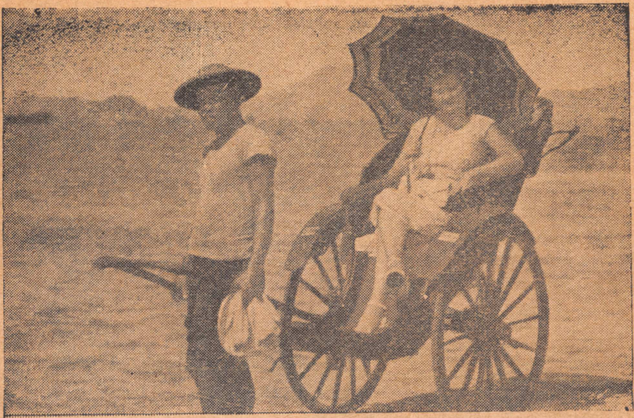
الهبوط أو الصعود من ذلك المطـار اثناء الليل وتقصره على ساعات النهار .

هونج كونج : جنة يسكنها شيـاطين !

نحن الآن فى جزيرة (هونج كونج) ، المستعمرة العجيبة التى يسكنها صينيون ويحكمها انجليز .. ويؤمها السياح ، وطلاب اللهو ، وقناصو الصفقات التجارية ، من شتى انحاء الارض ! .. انها مدينة الترف الزائدوالفقر المدقع فى آنواحد ـ شأن كل بلد يحط عليه غراب الاستعمار !ـ والترف بطبعه يغرى بالاغراق فى اللهو ، والفقر من الجانب الآخر يلجىء الى التحلل من كل المقاييس والقيم الخلقية فى سبيل لقمة الخبز .. **ومن هنا كان نصف الصينيين الفقراء من أهل المدينة قوادين وتجار ملذات ، يلاحقونك بعروضهم فى كل خطوة تخطوها !** فى الشارع يتبعك سائق « الريكشو » ـ العربة ذات المقعـد الواحد التى يجرها آدمى ! ـ فاذا لم تركب سـار بعربته بمحاذاتك مئات الامتار ، يحدثك عن فتنة نسـاء الصين ، ويعرض عليك ان يحملك الى حيث ترى بنفسك وتحكم ، ولا حرج عليك فى ان تعود دون ان تدفع شيئا ، اذا لم تعجبك « البضاعة » !

ويظل الرجل يلح عليك ـ دون خجـل أو ملل ! ـ حتى يوصلك الى باب الفندق الذى تقطنه ، وهناك يبذل محاولته الاخيرة فيكرر مميزات الصفقة على مسمعك ـ ومسمع المارة والشرطة ورجال الفندق ـ جهارا نهارا .. ولا يدركه اليأس الا حين تختفى عن ناظريه وراء بـاب الفندق ، وعندئذ .. يستدير كى يلاحق بعروضه شخصا آخر فى الطريق !

فاذا دخلت غرفتك فى الفندق ـاى فندق فى هونج كونج!ـ وطلبت قدحا من الشـــاى أو القهوة ، انتهز خادم الفندق



حسناء تركب عربة « الريكشو » ، (حنطور) هونج كونج التى يجرها آدمى ! (يعمل فىالوقت نفسه قوادا ، أو «سمسارا» لبيوت الدعارة !)



عشرات من عربات « الريكشو » فى موقفها بأحد الشوارع

الفرصة فسألك ـ فى بساطة ـ ان كنت ترغب فى ان يحضر اليك حسناء صينية كى تقضى الليلة معك .. فى الفندق ! ؟



حسناء صينية من (هونج كونج) ، حيث تلبس الصينيات جميعا أثوابا مشقوقة من الجانبين، تظهر الفخذين عاريين، سواء أثناء المشىأو الجلوس!

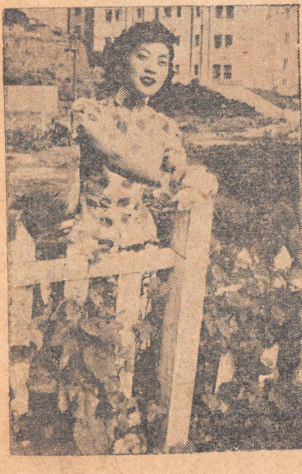
والظاهرة الاخرى الصارخة فى ذلك الميناء العجيب الذى جعله الانجليز منطقة حرة ، معفاة من الجمارك ، يباح فيها تداول النقد الاجنبى من جميع الانواع بواسطة صيارفة تزدحم بهم الحوانيت على قارعة الطريق ـ كما هى الحال فى (بيروت) ـ **الظاهرة الاخرى الصارخة فى هونج كونج ، الى جانب الدعارة ، هى التفاوت ((المزعج)) فى اسعار السلع بين متجر ومتجر ، وحانوت وآخر .. فالمساومة الكريهة هى قانون البيع والشراء هناك ! ..** وبحكم الانخفاض الكبير فى اسعار كل ما يخطر ببالك من السلع المستوردة من شتى اقطار العالم ـ نتيجة لاعفائها من الجمارك ـ ينتهز التجار فرصة غفلة السائحين عن درجة انخفاض الأسعار فى المدينة بالنسبة للأسعار فى بلادهم ، ويغتالون نصف الفروق ، اعتمادا على قناعة السائح بالنصف الآخر ، بل وفرحته به .. فاذا كانت السلعة تباع فى وطنه بما يوازى مائة قرش مثلا ، ووجدها فى احد حوانيت (هونج كونج) بسبعين قرشا ، فانه يختطفها فورا وهو يغبط نفسه على هذا السعر .. لكنه لايكاد يسير



أينما تسير المرأة الصينية فى هونج كونج ، تجذب أنظار الرجال الى فخذيها العاريين من بين ثنايا ثوبها المشقوق ، حيث تعلقت نظرات هذين البحارين الأجنبيين !

خطوات حتى يلمحها معروضة فى حانوت آخر بستين قرشا .. واذا ساوم الشارى كل بائع على حساب منافسيه ، واستخدم سلاح المقارنة باسعار غريمه التاجر الآخر ، فقد يحصل على السلعة ذاتها آخر الأمر بأربعين قرشا فقط ! .. وأغلب الظن ان من العوامل التى تغرى التجار هناك باعتناق سياسة المساومة والتفاوت الكبير بين الاسعار ، اعتمادهم على ضيق وقت السائح العابر وتعجله ، الأمر الذى لن يتيح له فى الغالب ان يدقق ويحقق ويقارن بين الاسعار !

هذا هو الجو العجيب ـ الحافل بالمفارقات ! ـ الذى يسود الحياة فى (هونج كونج) : ترف ، وتسول .. بذخ ، واذلال للآدمية .. قصور شامخة يقطنها اصحاب ملايين ، انجليز وصينيون ، (وبعض الأخيرين يخصص لكل زوجة من زوجاته العديدات طابقا من قصره ، او يشيد لكل منهن قصرا على حدة !) .. وفى الجانب المقابل : صيادون فقراء لا مأوى لهم غير قوارب الصيد ذاتها ، يقطنون فيها ، ياكلون وينامون ، ويولدون ويموتون ! .. (ولعل من سخرية الاقدار ـ وما ينطبق عليه المثل القائل بأن لكل سيئة حسنة ! ـ ماحدثنى



حسناء صينية مترفة ترتدى «البيجاما» فى حديقة دارها بهونج كونج



١٢٠ ألفا من سكان هونج كونج يعيشون فى هذه القوارب !

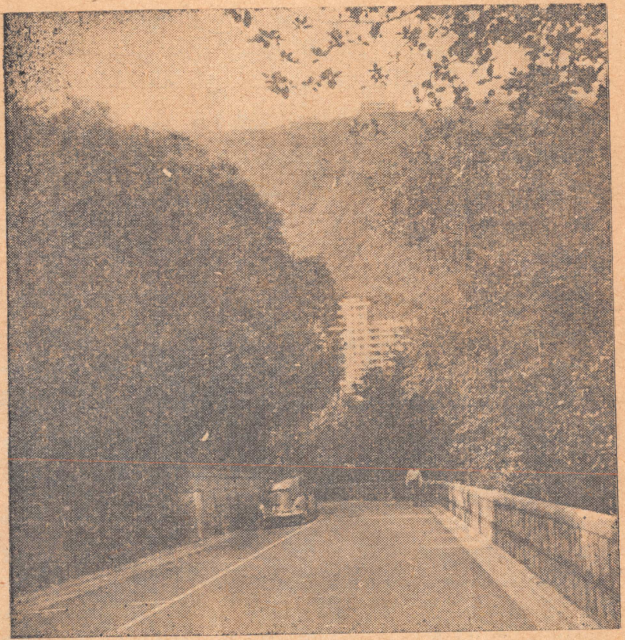


أسرة من ساكنى القوارب تدلف الى « بيتها » !

به احد أطباء هونج كونج ، من ان الاحصاءات قد دلت على كثرة عدد المعمرين بين اولئك الصيادين الفقراء ، وقد علل الطبيب هذه الحقيقة بأن حياتهم الهادئةالمستقرة ، الخالية من كل اعتبار للزمن أو ارتباط بمواعيد للعمل أو الخروج أو العودة ، قد حماهم من الامراض التى تنجم عن الانفعالات ودواعى الانزعاج التى تجلبها الحياة العصرية المعقدة ، وفى مقدمة هذه الامراض قرح المعدة والانهيارات العصبية و .. و .. الخ)

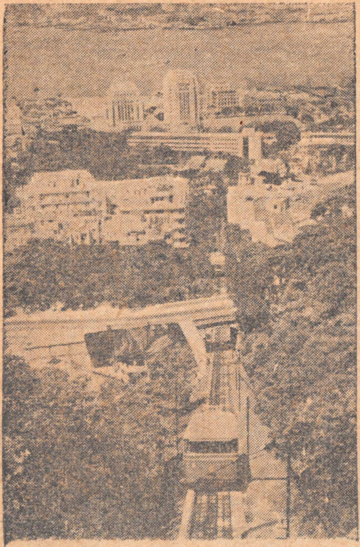
وأعود الى اكمال الصورة التى بدأتها لتلك المستعمرة العجيبة : **ان كل ما ترى أو تسمع فيها يوحى بالانحلال ، والابتذال ، والمساومة .. مساومة فى الاعراض ، ومساومة فى السلع .. لا صدق ولا شرف ولا مبادىء ، وانما نهب وسلب ودعارة ، وشائعات عن عصابات تستدرج طلاب اللهو الى اوكار بعيدة تسلب فيها نقودهم وثيابهم ثم يلقى بهم الى عرض الطريق ، عراة ، غائبين عن الوعى !**

على ان « للاسطوانة » وجهها الآخر ، المشرق .. فاذا غضضنا الطرف عن الاخلاق ، ألفينا للمكان طابعا آخر ــ جد مختلف ــ وصورة يغلب عليها الجمال ، والجمال النادر ! .. الجمال الطبيعى ، والجمال المصنوع .. جمال الطقس الربيعى الساحر ، والهواء المنعش الذى يهب من البحر ، والروابى الخضر التى يتسلق الى قمتها « كورنيش » دائرى ملتو ،أملس كالحرير ، أشبه بثعبان طويل فضى قد التف حول هضبة عالية خضراء ، تناثرت على سفوحها وفى منعطفاتها القصور والفيللات ، بل والعمارات السكنية الفاخرة ، ذات الاجور « الخيالية » ! .. واذا شئت ان تختصر الطريق الى قمة الهضبة أو الجزيرة ــ التى ذكرتنى كل ما فيها بشبيهتها الايطالية جزيرة « كابرى »! ــ ففى وسعك بدلا من استخدام

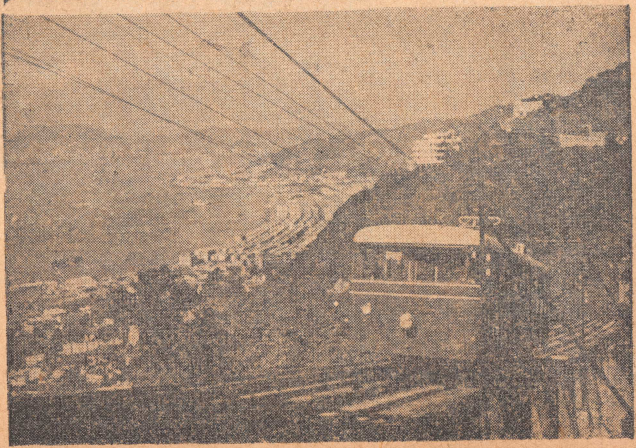


الطريق الثعبانى الجميل الذى يتسلق الجزيرة الى قمتها ، تحف به الغابات . وترى من بعد احدى العمارات المشيدة على السفح . وفى أعلى الصورة عمارات أخرى بعيدة فوق القمم العالية من الجزيرة

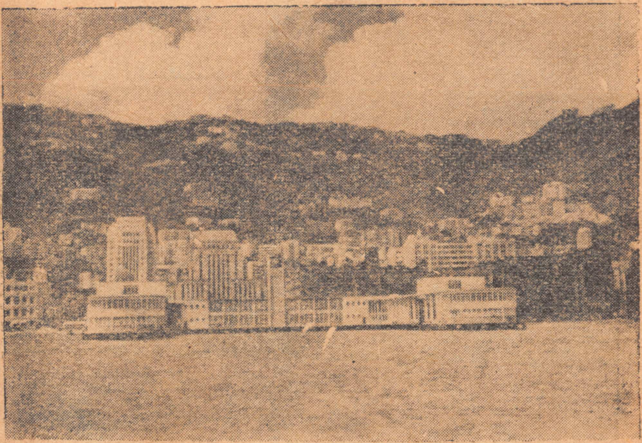
السيارة أن تستقل الترام المتسلق الذى يصعد بك الى القمة فى دقائق ، وكأنه حيوان يزحف على بطنه متسلقا الصخرة بزاوية لاتقل عن ٤٥ درجة ، مستعينا على هذا التسلق الوعر بغرس مخالبه فى الارض كلما صعد خطوة ،تفاديا للسقوط!.. أما فى النزول ، فانك تخاله يوشك ان ينزلق بك الى هوة ليس



الترام الجبلى الذى يتسلق الجزيرة الى قمتها (١٨٠٠ قدم) فى عشر دقائق ، مارا بثلاث محطات تعتبر كل منها بمثابة طابق من طوابق الجزيرة به شوارع و «فيلات» فاخرة .. ويرى فى منتصف الصورة الطابق الاول منها، بينما التقطت الصورة ذاتها من الطابق الثانى . وفى اسفل : صورة اخرى التقطت من قرب للترام المذكور ، وأجر التذكرة به للشخص ٣٥ مليما بعملة مصر .

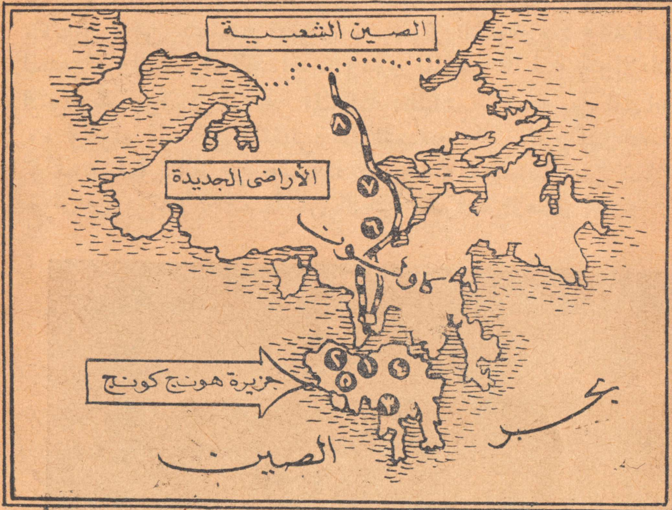


لها قرار ، وكأنك تمارس رياضة الانزلاق من قمة جبل من الجليد ! **فاذا بلغت قمة الجزيرة الصخرية الشاهقة ، أشرفت على منظر رائع قل نظيره فى العالم ، تتناهب ناظريك فيه عدة مرئيات ينافس بعضها بعضا فى السحر والجمال :** سفوح من الغابات والحدائق ، ترصعها الدور والقصور .. وبحر يلعق أقدام الجزيرة فى خشوع ، متعبدا لجمالها ، وعلى مياهه الزرقاء تتهـادى ـ ذاهبة آيبة ـ ناقلات أنيقة للركاب ، تحملهم فى دقائق من الجزيرة الى المدينة المكملة لها على الشاطىء الآخر القريب .. وبالعكس . (ويطلق على تلك المدينة المقابلة اسم (كاولـون) ، وعلى الجزيرة اسـم (هونج كونج) ، ولكن



منظر عام لجزيرة هونج كونج كما تبدو من شاطىء مدينة (كاولون) المقابلة لها ، (ويفصل بينهما ميل واحد من البحر) . وترى فى صدر الصورة عمارات البنوك والمؤسسات الضخمة ، وفوق السفح « فيلات » الأثرياء وقصورهم

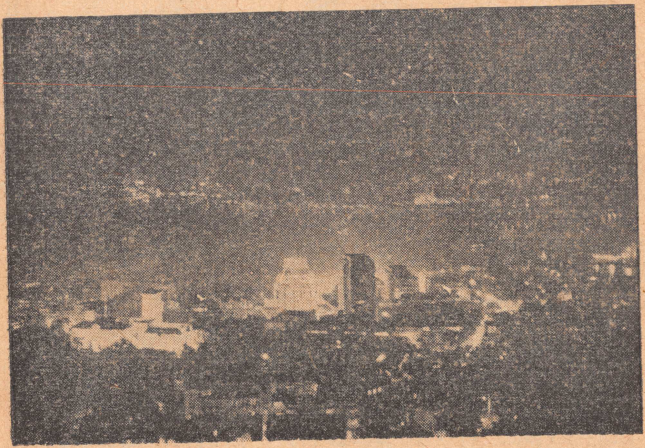
مستعمرة هونج كونج تشمل كلاهما ، بل تمتد وراء كاولون اميالا عديدة يقطعها القطار فى نحو ساعة حتى يبلغ حدود الصين الشعبية . والواقع ان كاولون وهونج كونج تعتبران نصفين لمدينة واحدة ، مثل بور سعيد وبور فؤاد)



خريطة تمثل جزيرة (هونج كونج) ، التى يفصلها ميل واحد من البحر عن توأمها أو نصفها الآخر المكمل لها (كاولون) .. وتعتبر الاخيرة الطرف الجنوبى لقارة الصين ، والى الشمال منها بقية (الاراضى الجديدة) التى يحكمها الانجليز ، تليها حدود « الصين الشعبية » . وفيما يلى بيان بعض معالم المستعمرة :

(١) محطة الترام الجبلى . (٢) قمة الجزيرة . (٣) شاطىء (ريبالس باى) الساحر (٤) حديقة « بلسم النمر » (٥) قرية (أبردين) . (٦) محطة سكة حديد (شاتين) (٧) محطة (تايبو) (٨) محطة (فانلنج) .

واذا كان المنظر من قمة الجزيرة يبدو ساحرا فى النهار ، فان سحره يتضاعف فى الليل ، حتى لتشعر وانت تتأمله بمزيج من الرهبة والنشوة ، تود معهما لو توقف الزمن عن سيره فأتيح لهذا المنظر الخلاب ان يثبت امام ناظريك .. الى غير نهاية ! .. **كيف لا وانت ترى شاطئين متقابلين يتوامضان بالأنوار ، من جميع الألوان .. انوار الشوارع ، واللافتات الحمراء والخضراء للحوانيت ودور الملاهى الليلية ، والاعلانات التجارية ، وانوار السفن المتلألئة ، الذاهبة الآيبة بين الشاطئين .. وانوار المساكن المتناثرة على السفح والشوارع المدرجة التى تؤلف سلما هائلا من مئات الدرجات ، يصل بين شارعين متوازيين يرتفع احدهما عن الآخر عشرات الأمتار !**

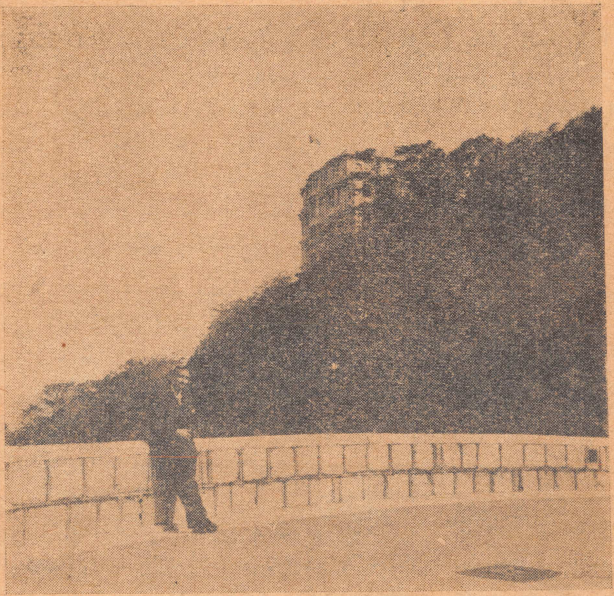


هونج كونج كما تبدو ليلا من قمة الجزيرة ، (من الخلف) ، وترى فى مواجهتها مدينة (كاولون) ، وبينهما البحر

وكما يحلو للناظر ان يتأمل المنظر الساحر من فوق القمة ، فان شغفه به يبلغ غايته وهو يهبط منها الى أسفل الجزيرة ، سواء بالترام أو بالسيارة ، فعندئذ يلوح له المنظر لحظات ، ثم يختفى وراء منعطف ، ثم يعود فينبسط أمامه من جديد فى سناء باهر ، لا تملك عين رأته أن تنساه ! .. فاذا هبط الى الشاطىء واستقل الناقلة المائية الى الشاطىء الآخر ، ثم استدار ليواجه الجزيرة وهو يبتعد عنها ، لاح له السفح المتلألىء لوحة خالدة تنطق بالجلال والابداع !

وهونج كونج ، بقسميها ـ سواء الجزيرة أو نصفها الآخر المسمى (كاولون) ـ تضارع فى شوارعها ، وحوانيتها ، ومبانيها ، ونظافتها ، اجمل مدن اوربا . وقد خيل الى وانا أسير فيها لأول مرة أنى أسير فى احدى مدن شمال ايطاليا أو النمسا ! .. واذا عبرت البحر من الجزيرة نحو الشمال الى (كاولون) ، وهى الشاطىء الجنوبى لقارة الصين المترامية الاطراف ـ (وتقطع الناقلة المسافة بين الشاطئين ، وتبلغ نحو ميل ، فى اقل من عشر دقائق) ـ ثم هبطت من الناقلة لتستقل من امام محطتها سيارة الاتوبيس رقم ٦ ، **فان السيارة ستسير بك اكثر من نصف ساعة فى شارع واحد عريض مستقيم ، جميل التنسيق ، تحف به من الجانبين آلاف الحوانيت الفاخرة التى تعرض أرقى وأرخص منتجات العالم ، وتتخلل هذه الحوانيت مئات المسارح ، ودور السينما ، والملاهى الليلية** ـ التى تقدم مزيجا من الفنون الصينية والاوربية ـ ومئات اخرى من الفنادق ، تستقبل كل يوم فى المتوسط نحو اربعة آلاف سائح قادم بطريق البحر ـ من شتى اطراف المعمورة ـ وخمسمائة سائح بطريق الجو ، الى جانب القادمين بطريق البر من الصين الشعبية

ولك ان تتصور ضخامة الحركة التجارية فى المدينة ، اذا



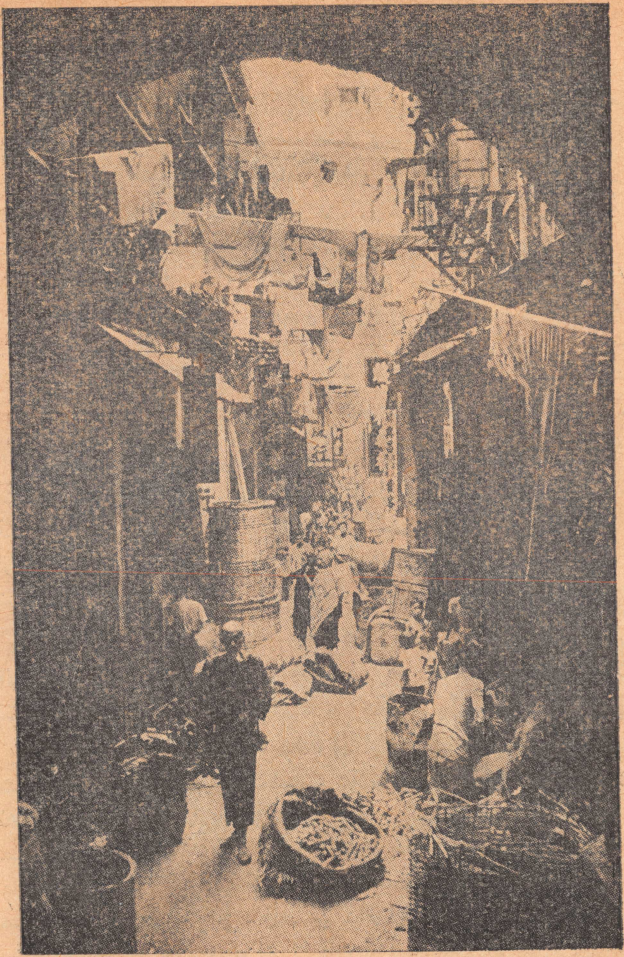
كورنيش هونج كونج الجبلى ، المشرف على البحر ، تطل عليه من عل دار حكومية أقيمت فوق قمة تكسوها الغابات

علمت ان البضائع التى افرغت أو شحنت من مينائها خلال عام ١٩٥٦ ، سواء من الواردات أو الصادرات ، بلغت ٢٥٫٥ مليون طن ! — (قدرت الواردات منها بنحو ٢٧٠ مليون جنيه استرلينى ، والصادرات بنحو ١٩٢ مليون جنيه) — وان مساحة الميناء المذكور نحو ١٧ ميلا مربعا . كما تستطيع ان تتصور ضخامة حركة المواصلات بين قسمى المدينة (اى بين كاولون والجزيرة) ، اذا علمت ان متوسط عدد الركاب الذين تقلهم

الناقلات المائيـــة بين الشاطئين يبلغ نحو ٠٠٠ر٣٠٠ راكب كل يوم !.. ومتوسط عدد الطائرات التى تهبط أو تغادر المستعمرة يوميا نحو عشرين طائرة .. وعدد سيارات الاوتوبيس بها ٧٤٤ سيارة ، تقل نحو ٠٠٠ر٨٥٠ راكب يوميا ! .. وعدد عربات الترام ١٣٨ عربة ، تحمل نحو ٠٠٠ر٤٣٠ راكب كل يوم ! .. وعدد السيارات الخاصة نحو ٠٠٠ر٣٠ سيارة . بقى بعد هذا ان تعرف ان عدد سكان المدينـــة بلغ الآن نحو ٠٠٠ر٧٥٠ر٢ نسـمة ، (منهم نحو ٠٠٠ر١٢٠ يعيشون فى زوارقهم كمـــا أسلفت) . وقد تضاعف عدد السكان اربع مرات منذ استرد الانجليز المستعمرة من اليابانيين فى عام ١٩٤٥ — (وكان هؤلاء قد احتلوها اربع سنوات اثناء الحرب العالمية الثانية) .

وقد تتساءل عن سر ضخامة الحركة التجارية التى يتداولها ميناء (هونج كونج) ، وهل ترجع الى ضخامة عدد السائحين الذين يمرون بالمدينة ويستهلكون سلعها ، فحسب ؟ .. واذا كان الأمر كذلك بالنسبة للواردات ، فما سر ضخامة الصادرات التى تشحن من الميناء ، بدورها ؟

والجواب ان هونج كونج هى المنفــذ التجارى الجنوبى من والى الصين الشعبيـــة .. فبالرغم من عدم اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بهذه الاخيرة ، ومقاطعتها التجارية لها ، فان بريطانيا لم تستطع المضى فى هذه المقاطعة طويلا ، فكان ان رضخت لحـكم الأمر الواقع واستأنفت علاقاتها التجارية معها ، وهى تتعامل معها الآن على نطاق واسع ، فتصدر اليها ماتحتاج اليه الصين من منتجاتها ، وتستورد منها ماتحتاج اليه من منتجات الصين . على انه اذا كانت بريطانيـــا تستطيع التعامل مـــع الصين عن طريق موانىء الصين ذاتها — مثل شنغهاى مثلا — الى جانب ميناء هونج كونج ، فان اهمية هذه الاخيرة فى التجارة مع الصين تبرز بصورة اكبر بالنسبة للدول الاخرى التى لم



حارة ضيقة فى الحى الوطنى بالجزيرة ، حيث يقطن الصينيون فى حوانيتهم او فى مساكن متواضعة تعلوها

تعترف حتى الآن بالصين الشعبية .. فعن طريق هونج كونج يستطيع العملاء والتجار أن يبيعوا للصين جميع انواع السلع الامريكية - ذاتها ! - سواء المعروضة فى متاجر المدينة أو التى تستورد من امريكا باسم هونج كونج ثم تباع من الميناء مباشرة الى الصين ، وهى فى صناديقها ! (ومن هنا ترى امام فنادق (بكين) و (شنغهاى) سيارات امريكية من آخر طراز ، رغم المقاطعة الامريكية !)

ومن جهة اخرى ، تصدر الصين الى هونج كونج كل مايفيض عن حاجتها من منتجاتها ، ومن هناك يباع ويصدر الى سائر انحاء العالم ، بما فى ذلك امريكا بالطبع !

والى جانب منتجات الصين ، فان بعض صادرات (هونج كونج) هى من انتاج هونج كونج ذاتها .. ذلك ان بالمدينة ٣٣١٩ مصنعا ، وتبلغ نسبة الذين يعتمدون على الصناعة - سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة - نحو خمسين فى المائة من السكان ، (فى حين يعتمد الباقون على صيد الاسماك ، وزراعة الارز) . والصناعة الرئيسية للمستعمرة هى النسيج ، ويليها تكرير السكر ، وبناء السفن ، ومنتجات المطاط ، والتطريز ، والاحذية ، والبطاريات ، والصمامات ، ومصابيح آلات التصوير الليلية ، والمصنوعات المطلية بالميناء ، ولعب الاطفال .. ونحو اربعمائة صنف من الصناعات الصغيرة الاخرى . ويبلغ المتوسط اليومى لاجر العامل الممتاز هناك بين ٤٢ و٧٢ قرشا (مصريا) ، وأجر العامل العادى بين ١٨ و٣٦ قرشا . كما انتجت المدينة فى العام الماضى ٢١٥ فيلما سينمائيا ، وبها محطة اذاعة ومحطة تليفزيون ، تذيع كثيرا من روايات الاوبرا الصينية .

وعلى ذكر الحركة التجارية والصناعية فى هونج كونج ، قد يدهشك ان تعلم ان بالمدينة ٨٠ بنكا مرخصا به (عدا مئات الصيارفة المنتشرين فى الطرقات) ، ونحو ١٧٠ شركة تأمين .. والى عهد قريب ، كان بنك « هونج كونج - شنغهاى » البريطانى ،

الذى يمول تجارة بريطانيا معالصين ، أعلى مبنىفى الجزيرة ، وقد أقاموا عند مدخله تمثالين ضخمين للأسد البريطانى .. اما اليوم ، فقد انشأت الصين الشعبية مصرفا اكبر وأعلى منه ، اطلقت عليه « بنك الصين » ، وامام مدخله أسدان على الطراز الصينى ، احدهما غاضب متحفز ، والآخر ضاحك تكاد تسمعه يقهقه عاليا !

وقد يدهشك ان تعلم ان هونج كونج تعتمد اعتمادا كليا فى تزودها بالمياه على الامطار ، بحكم عدم وجود انهار كبيرة أو موارد أخرى للماء . واكثر أمطارها تسقط خلال أشهر الصيف ، بين مايو وسبتمبر . (والمتوسط السنوى للامطار فيها يبلغ ٨٤ر٧٦ بوصة) . وتخزن المياه فى خزانات عديدة تبلغ سعة اكبرها **١٤١٩ر١ مليون جالون** . وبسبب هذا النقص



بنك « هونج كونج - شنغهاى » البريطانى - الى اليمين - وبجواره البنك الاكثر ارتفاعا الذى شيدته الصين الشعبية

فى موارد المياه كان ماء الصنبور ينقطع عن غرف الفندق الذى نزلنا فيه أثناء عودتنا من الصين (يوم ٢٢ نوفمبر الماضى) ابتداء من الساعة العاشرة حتى الساعة الخامسة من بعد ظهر كل يوم

وفى هونج كونج عدة شواطىء ممتازة للاستحمام ، تزدحم برودادها خلال اشهر الصيف – لا سيما فى عطلة نهاية الاسبوع – وأشهر هذه « البلاجات » شاطىء خليج « ريبالس » ، الذى سمى بهذا الاسم نسبة الى السفينة الحربية « ريبالس » التى اشتركت فى محاربة القراصنة فى اواسط القرن الماضى ، ومن المعروف ان (هونج كونج) كانت يومئذ مأوى للقراصنة ومهربى الأفيون ! .. واذا كنت شهدت الفيلم الممتاز: LOVE IS A MANY - SPLENDOURED THING الذى عرض فى القاهرة منذ عامين ، **فلا بد انك تذكر المنظر الساحر لخليج « ريبالس باى » ، الذى بدت فيه بطلة الفيلم الفنانة « جنيفر جونز » – وكانت تمثل دور طبيبة صينية – تسبح مع صديقها المراسل الحربى الامريكى « وليم هولدن » .. ثم يخرجان من الماء الى شرفة فيللا جميلة تشرف على البحر** . وقد رأيت الدار المذكورة قائمة على شاطىء الخليج – اذ لم تكن من



حسناء صينية تستمتع بالشمس والهواء على شاطىء «ريبالس باى»



فندق « ريبالس باى » الفاخر المشرف على الخليج والبلاج

قبيل الديكور المؤقت الذى يقام داخل الاستديو لتصوير بعض مناظر الأفلام — وقيل لى أن صاحب تلك الدار طبيب برتغالى وانه سمح للشركة منتجة الفيلم باستغلالها فى تصوير ذلك المنظر.

وعلى ذكر الفيلم المذكور ، وقفت على تفصيلات غريبة تتصل بملابسات القصة « الواقعية » التى اقتبس عنها . فقد كتبت هذه القصة طبيبة واديبة صينية تنحدر عن ابوين

احدهما صينى والآخر اوربى – لست ادرى على وجه التحديد – وكانت الطبيبة المذكورة تعمل فى اكبر مستشفى فى هونج كونج ، حين وقعت فى حب مراسل حربى انجليزى – (لا امريكى ، كما أظهر الفيلم) – كانت زوجته تقطن فى سنغافورة . **فلما قتل المراسل اثناء حرب (كوريا)، ونشرت الطبيبة قصة غرامهما الحقيقى ، كان الأمر مفاجأة اليمة لزوجة المراسل ، التى لم تكن تعلم شيئا عن غرام زوجها بأخرى ! وقد دفعتها الصدمة الى أن ترفع دعوى ضد المؤلفة تطالبها فيها بتعويض كبير عن « اساءتها لسمعة زوجها القتيل »** ! .. ولا تزال الدعوى منظورة امام القضاء ، لم يفصل فيها بعد

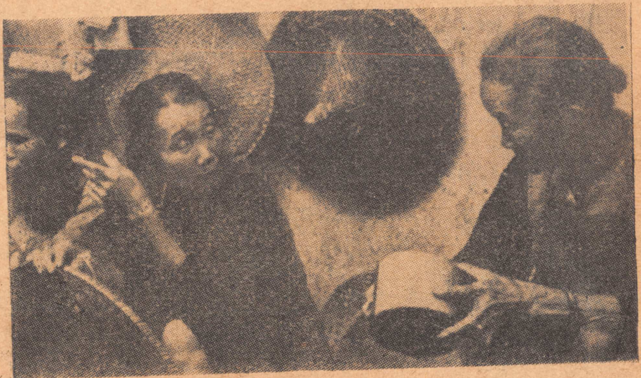


صينية من هونج كونج ، تدلف من وراء الاغصان لتلقى شباكها .. على البر !

وقبل ان نغادر (هونج كونج) بصفة مؤقته ، (حتى نمر بها مرة أخرى ونحن فى طريق عودتنا من الصين الشعبية) ، قد يهمك ان تعرف سر انفصال هذه المستعمرة الصغيرة عن بقية « القارة الصينية » – كما احب ان اسميها – وسبب خضوعها للحكم البريطانى ، فى حين ان اهلها صينيون اصيلون، شأنهم شأن بقية شعب الصين ! ؟

والجواب سأحدثك عنه بالتفصيل بعد قليل حين أروى

لك قصة الحضارة الصينية ، والكفاح الصينى ضد الاستعمار الاوربى .. الخ .. وانما أكتفى هنا بالاشارة الى انه على اثر محاولة الانجليز التسلل بنفوذهم الى الصين ، فى اواخر القرن الثامن عشر ، بغية ايجاد سوق هائلة لتجارة الأفيون ـ الذى كانوا يحتكرون زراعته فى الهند ، ويجنون من بيعه ارباحا خيالية ! ـ اصدر امبراطور الصين قرارا بتحريم تجارة الافيون وتدخينه ، ابتداء من عام ١٨٠٠ .. **لكن الشركة البريطانية التى كان يعنيها الأمر ـ وهى المسماة شركة الهند الشرقية ـ ارادت ان تتحدى قرار الامبراطور ، فلجأت الى القراصنة الذين يعيثون فسادا فى المنطقة ، وأعدت بمعاونتهم ((اسطولا)) من الزوارق المسلحة لتهريب الافيون الى داخل الصين ، واعتمدت**



عجوزان صينيتان طاعنتان فى السن ، جلستا تسمران وقد رسمت السنون أخاديد عميقة على وجهيهما . انهما من الجيل الذى جنى عليه الافيون !

ميزانية ضخمة لرشوة رجال الموانىء والجمارك وكل موظف صينى قد يقف فى طريق نشر هذه التجارة الشائنة ..
وافلحت الشركة بالفعل فى تعميم الافيون فى كل مدينة وقرية من ارض الصين ، اكثر من ذى قبل ! .. فلما رأى الامبراطور هذه المخالفة الاجماعية لقراره السابق ، عين احد رجاله الاقوياء حاكما لمنطقة (كانتون) الجنوبية - وكانت المركز الرئيسى لتهريب الافيون - فانتقل الحاكم اليها ، وهناك وجه انذارا لجميع التجار الاجانب بوجوب تسليم كل كميات الافيون التى فى حوزتهم قبل انقضاء موعد محدد .. لكنهم سخروا من الانذار ولم يبالوا بالرد عليه ، فانقض رجاله فى لحظة واحدة



بائعة صينية فى أحد شوارع هونج كونج ، تنتظر الفرج ..
فى صبر واستسلام !

على سائر اوكار هذه التجارة ومخازنها وبؤر تقطيرها ، وصادروا كل ما كان فيها من الافيون - وقد بلغت زنته يومئذ نحو عشرين الف طن ! - ثم احتفلوا بحرقها فى احتفال شعبى كبير !

عندئذ جن جنون تجار الافيون الانجليز ، واستغاثوا بحكومتهم .. التى وجدت فى الامر فرصتها المنشودة لبسط نفوذها على الصين ، فوجهت الى الامبراطور احتجاجا عنيفا طالبت فيه بالغاء قرار تحريم الافيون ، وتعويض التجار البريطانيين الذين صودرت بضاعتهم تعويضا سخيا ، والا .. اضطرت هى الى التدخل !

وكان طبيعيا ان يرفض « الانذار » .. فتحرك الاسطول البريطانى - كعادته ! - الى حيث صب حممه على مدينة (كانتون) ، فى احد ايام مارس سنة ١٨٤٠ ، بوحشية منقطعة النظير ! .. **لكن حاكمها الباسل ابى التسليم ، وأعد عدته لمواجهة الحصار الرهيب الذى قرر الاسطول ان يضربه على المدينة ، والذى استمر اكثر من عام ، اضطرت الصين فى نهايته**



رغم أن الفرس اول من ابتكر زى « البيجاما » ، فانه أنسب زى لاجسام الصينيات النحيلة .

الى التسليم بمطالب الانجليز : وكانت فى مقدمتها اباحة تداول الافيون وتدخينه ، فى جميع انحاء البلاد ، والتنازل لهم عن ميناء وجزيرة هونج كونج ، لضمان تنفيذ هذه المطالب ! ..
ثم تعويض التجار الذين أحرقت بضاعتهم تعويضا ماديا وأدبيا سخيا ، واعفاء الانجليز منذ ذلك التاريخ من الخضوع للقوانين الصينية والمحاكم الصينية .. الخ

وأطلق الانجليز على غنيمتهم الدسمة اسم (فيكتوريا) ، نسبة الى ملكتهم التى وقع فى عهدها هـذا الاحتلال ، الذى



اكثر باعة الصحف فى هونج كونج من النســاء ، وترى فتاة منهن جالسة امام « فرش » الصحف الخاص بها

بيارکته .. كما اطلقوا على قمة الجزيرة اسم «قمة فيكتوريا» ، وهو اسم ما يزال ساريا الى اليوم ، أما الجزيرة نفسها والمستعمرة عامة فقد صارت تعرف بعد ذلك باسمها الحالى (هونج كونج) — ومعناه « الماء العذب » او « الماء المعطر » — وكان البرتغاليون قديما يسمونها « جزيرة اللصوص » ، اذ كانت مأوى للقراصنة كما اسلفت

وفى عام ١٨٦٠ ، بعد اقل من عشرين عاما من احتلال الانجليز للجزيرة ، استولوا ايضا على منطقة (كاولون) ، وهى الشاطىء المواجه لها من ارض الصين .. **ثم ازدادت مطامعهم بمرور الزمن ، فحصلوا من الصين فى عام ١٨٩٨ على رقعة كبيرة من الارض تلى كاولون الى الداخل ، بايجار اسمى لمدة ٩٩ عاما ،**



جامعة هونج كونج ، وقد شيدت على أحدث طراز ، فى بقعة مرتفعة من الجزيرة

واطلقوا عليها اسم (الاراضى الجديدة) ، وهى التى يخترقها القطار الآن فى نحو ساعة قبل ان يصل الى الحدود الفاصلة بينها وبين الصين الشعبية .. وهكذا بلغت مساحة مستعمرة هونج كونج كلها نحو ٣٩٤ ميلا مربعا ، أما الجزيرة وحدها فلا تزيد مساحتها عن ٣١ ميلا مربعا ، ويبلغ طولها من الشرق الى الغرب ١١ ميلا ، اما عرضها فيتراوح حسب اختلاف كل جزء بين ميلين وخمسة اميال ، وترتفع قمتها المشهورة التى حدثتك عنها حوالى ١٨٠٩ اقدام فوق سطح البحر

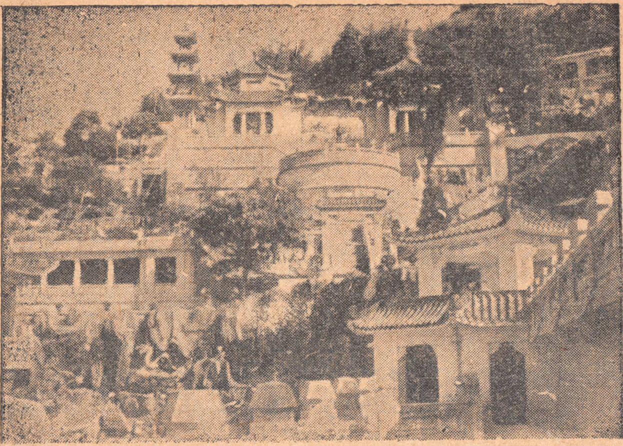
((روكفلر)) الشرق الأقصى !

• **ومن** أشهر الاماكن التى يحدثك عنها أهل (هونج كونج اذا سألتهم عن اهم معالمها ، حديقة ((بلسم النمر)) — أو ((مرهم النمر)) (تايجر بالم) — ولهذه الحديقة قصة ((واقعية)) تقرب من خرافات الف ليلة وليلة ، فقد انشأها فى عام ١٩٣٥ ثرى صينى يدعى ((أو بون هاو)) ، انفق عليها من جيبه الخاص مليون جنيه استرلينى بالضبط ، (كما انشأ حديقة اخرى من نفس الطراز فى جزيرة سنغافورة ، انفق عليها اربعة ملايين من الجنيهات !) .. **أما فكرة انشاء الحديقتين ، وسر ثراء المليونير المذكور ، فتتلخص فى انه كان قد تمكن من تركيب ((مرهم)) خاص لا يحتوى على اى دهن حيوانى ، أطلق عليه ((مرهم النمر)) ، وقد ظهرت فائدته الأكيدة الفعالة — على حد قول الصينيين — فى علاج امراض : السعال ، والبرد ، والصداع ، والروماتيزم ، واللمباجو ، والربو ، وألم الأسنان ، والنقرس ، وعرق النسا ، والآلام العصبية ، وبحة الصوت ، ولسعة العقرب والحشرات ، والجروح ، والتواء العضلات ، وجميع آلام الصدر !** .. وطريقة العلاج ان يدلك به مكان الألم أو الاصابة ثلاث مرات فى اليوم ثم يربط بقطعة من ((الفانلة)) أو القماش الدافىء .. كما نص فى النشرة الخاصة بهذا الدواء

« السحرى » انه يحسن الاحتفاظ بزجاجة منه فى البيت واثناء السفر « لمنع الاصابة بالامراض المعدية » ! .. والى جانب الدواء المذكور توصل « المخترع » الى تركيب مسحوق اطلق عليه « مسحوق شفاء الصداع » ، ودواءين آخرين اطلق عليهما اسمين صينيين لم اهتد الى ترجمة مدلولهما ، وهما : « بالاشين ساى » ومزيج « شنكاويت وينك » ، فلم تلبث العقاقير المذكورة ان انتشرت وذاع استعمالها فى انحاء الصين وفى اقطار اخرى خارجية ، لما ثبت من نفعها العاجل فى شفاء هذه الامراض ، (وما تزال محتفظة بشهرتها وانتشارها حتى اليوم !)

وعلى اثر ذلك اقام الرجل عددا كبيرا من المعامل لانتاج هذه العقاقير فى كل من بلاد : الملايو ، واندونيسيا ، وهونج كونج ، وكوونجتونج ، وفوكين ، وشنغهاى ، والفيليبين ، وفيتنام ، وتايلاند .. الخ .. فلما أثرى صاحبنا من ذيوع صيت عقاقيره ، اخذ يساهم بثروته فى الكثير من اعمال البر والمشروعات العامة النافعة ، **فمنح هبات سخية للمدارس الاهلية ، والمستشفيات ، ودور كفالة العجزة ، وملاجىء الايتام والمسنين ، وضحايا الفيضانات والاوبئة ، سواء فى الصين أو فى سواها من البلاد ! .. وبالاختصار فقد خصص ٦٠ فى المائة من ارباحه السنوية لأعمال البر ، حتى جاوز ما وهبه لهذا الغرض سبعة ملايين من الجنيهات !** .. وفى عام ١٩٣٨ خلع عليه ملك انجلترا الراحل « جورج السادس » وساما رفيعا ، تقديرا لمساهمته فى مشروعات الترفيه الاجتماعى ببلاد الملايو . وبالاضافة الى اعماله الخيرية ، اضطلع بكثير من المشروعات الاقتصادية والثقافية ، فأنشأ مصرفا ماليا فى سنغافورة ، وأسس ١٢ صحيفة ، بعضها فى مدن الصين وبعضها فى هونج كونج وبلاد الملايو .

أما الحديقة المذكورة فقد شيدها فى عام ١٩٣٥ على قطعة من الارض مساحتها ثمانية افدنة ، وملأها بالتماثيل وبمناظر



منظر لجانب من حديقة (تايجر بالم) - « بلسم النمر » - التي انفق عليها صاحبها الثرى الصيني مليون جنيه !

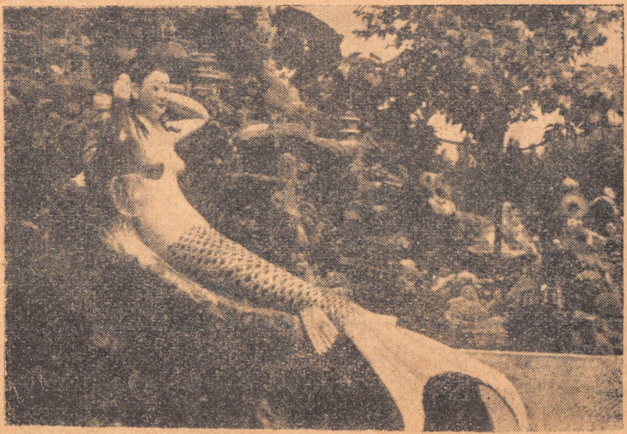
مجسمة لحيوانات واشخاص ، يمثل كل منظر منها قصة من قصص الأدب الشعبى الصينى والفولكلور البوذى التى يؤمن بها الصينيون ويعلمونها لأولادهم فى كتب الاطفال ،وهى قصص تحض الناس على فعل الخير ، وحب الوطن ، والرفق بالوالدين، والاخلاص للاصدقاء .. كما تنفر الناس من فعل الشر ، كالتمرد ، والقتل ، والسرقة ، والخداع .. وقد هدف الثرى الصينى من وراء اختيار التماثيل والمناظر المجسمة التىاقامها فى حديقتـه أن تساعد على نشر الفضائل وتحقيق الغـايات الاخلاقيـة النبيلة التى يستفـاد مغزاها من تلك الأسـاطير والقصص ، الى جانب امتاع زائرى الحديقة بطرافة المشـاهد التى تحتويها .. أو على حد قوله ذات مرة : « **لقـد جمعت**

ثروتى من الشعب ، ومن ثم ينبغى ان أنفقها من اجل اسعاد الشعب »

ومما يذكره اهل الشرق الاقصى بالخير للمحسن المشار اليه . انه لم يقصر بره واحسانه على مواطنيه وحدهم ، وانما تعداهم الى جميع شعوب جنوب آسيا ، **دون اية تفرقة تتصل بالدين أو الجنس ، فأنعم بهباته على بوذيين ، وكاثوليك ، وبروتستنت** .. الخ .. لكنه لم يكن يمنح عطاياه جزافا ، دون تدقيق - رغم ان موارده كانت تمكنه من ذلك ، وكان هذا خليقا بأن يجنبه كثيرا من العناء والمتاعب - بل كان يبدى عناية فائقة فى دراسة المشروعات التى تنشد عونه ، **ولا يعطى الا من يقتنع بانهم يستحقون المساعدة ، وفى مقدمتهم الاطفال - ولا سيما الايتام - والمسنين والعجزة** .. ونتيجة لهذا السخاء فى العطاء ، وهذه الحياة الحافلة بالحسنات ، كان حزن الاسيويين عليه شديدا حين فاجأته منيته يوم ٥ سبتمبر عام ١٩٥٤ ، فى مستشفى الملكة بمدينة (هونولولو) ، على اثر اصابته بنوبة قلبية مفاجئة ،وكان يومئذ فى الثانية والسبعين . وقد احرقت جثته بعد الوفاة حسب تقاليد عشيرته .

واليوم ، تعتبر حديقته مزارا للصغار والكبار ، من السائحين وأهل الجزيرة ، بل ان زوجته الاخيرة - التى ما تزال فى شرخ الشباب - تقيم حتى الآن فى قصرها الرائع الذى يقع فى ركن من الحديقة ، والذى لا يفصله عن روادها سور ولا حجاب ، حتى لتقع عين الزائر وهو مار امامه على محتويات ردهته من اثاث ورياش .. ولعلك مشوق بعد هذا الى ان اصف لك تلك الحديقة العجيبة التى انفق على انشائها مليون جنيه .. **ولكنى اعترف بعجزى عن وصفها وصفا كاملا يصورها لك على حقيقتها ، بل ان الزائر لها لا يملك ان يعى ببصره كل دقائقها وجزئياتها - حتى وهو فيها - ما لم ينفق فيها نهارا كاملا على الأقل ، يتأمل خلاله كل شبر منها ، امامه ، وعن**

يمينه ، ويسـاره ، وفوق مستوى نظره ، من كل جهـة ..
فكلما رفع بصره درجة الى أعلى رأى شيئا جديدا ، أو سلما جميلا من الصخور الصناعية يقود الى طابق أعلى ، فالحديقة مكونة من ٤ أو ٥ طوابق ، وبين كل طابق والآخر عدة اتجاهات ، وتفرعات ، وسـلالم أخرى ، تؤدى الى كهـوف مختبئة ، و « جبلايات » ، وأروقة ، وشرفات ، وسراديب ، تدخل من احدها فلا تعرف كيف تعود الى حيث كنت ! .. والخلاصة انك لكى تحيط بهندسة الحديقة أو تختزن فى وعيك مسالكها لا بد من ان « تدرسها » دراسة متفرغ مقيم ، وتقف كل حين لتسـأل نفسك من اى طريق جئت ، واى اتجـاه يقودك الى الجزء الذى لم تره ! .. وفى كل خطوة تخطوها يباغت عينك شىء غريب ، صارخ ، يستوقف انتباهك حتما مهما كنت شارد



حورية البحر (امرأة على شكل سمكة) كما تخيلها المثال فى تمثاله بحديقة (تيجر بالم)

البال : فهذا نمر ضخم تفاجأ بأنيابه على قيد شبر من ذراعك ، فتخاله اول الأمر وحشا حيا يوشك ان يزمجر .. وهذه سمكة كبيرة فى حجم التمساح ، لها رأس امرأة ! .. وذاك طاووس جميل تكاد تمر بيدك على ريشه الجميل .. **وهنا منظر مجسم لمجموعة من المخلوقات اختلطت فيها سمات البشر والوحوش .. وهذه تماثيل لكائنات خرافية عجيبة الهيئة ، كالتى تقرأ عنها فى الأساطير .. وهناك جماعة من النسوة العرايا فى الحمام .. الى عشرات بل مئات من هذه الغرائب ذات الأشكال والألوان الصارخة التى امتلأ بها المكان** .. وفى ركن مرتفع من الحديقة برج صينى (باجودا) من سبعة طوابق ، يرى عن بعد من اجزاء كثيرة من الجزيرة . ومن طريف أمر هذا البرج ان السلطات حرمت على الزائرين الصعود اليه ، بعد ان كثرت حوادث الانتحار من فوق قمته ، اذ ثبت ان الشعور الذى يراود من يطل من ذلك الارتفاع الشاهق كثيرا ما يوحى بفلسفة الزهد فى الحياة ، ويغرى بالتخلص من متاعبها !

وقد يكون من الطريف أن أروى لك احدى قصص الاساطير التى أقيمت لها رموز مجسمة فى الحديقة .. ومن هذه الأساطير قصة الحسناء « يانج كواى فى » : **اذ يحكى انه فى عصر اسرة « تونج » التى كانت تحكم الصين حوالى عام ١٧٨ قبل الميلاد ، كانت تعيش فتاة تدعى « يانج كواى فى » ، اعتبرت يومئذ واحدة من اربع اجمل حسان فى الصين .. ومن هنا وقع اختيار الملك عليها كملكة « ثانية » ـ الى جانب زوجته الملكة الشرعية** ـ وأغدق الرتب والالقاب على أفراد اسرتها ، فرفعهم الى مرتبة النبلاء ، وعين ابن عمها « كووك شونج » فى منصب الوزير ، دون ان تؤهله لذلك موهبة أو دراية ، فساءت امور الدولة على يديه ، حتى اضطر الملك الى عزله وتنصيب حاكم



برج مشيد على الطراز الصينى في حديقة (تيجر بالم)

احدى الولايات فى مكانه .. فلم يلبث الحاكم الجديد ـ وكان يدعى « اون لوك شان » ـ ان بذل من المجهود فى الاصلاح ما استحق من اجله ان يرضى عنه الملك ، وتقع الحسناء « يانج كوى فى » فى هواه ! .. واذ ذاك نهشت الغيرة قلب ابن عمها المعزول « كووك شونج » ، فدس خلفه عند الملك متهما اياه بالتآمر على العرش ! وحين ابدى الملك ترددا فى القبض على الحاكم ، انتهز هذا الفرصة فلاذ بالفرار الى ولايته القديمة ، خشية ان تنجح الوشاية فيصدر الملك ـ فى لحظة ضعف ـ امرا بقتله ! .. ومن هناك أعد الهارب جيشا لمهاجمة المملكة وقتل غريمه المعزول ثم اختطاف محبوبته الحسناء .. واذذاك اضطر الملك الى الخروج على رأس جيشه لملاقاته والدفاع عن عرشه .. لكن الجيش تمرد فى الطريق ، واعلن الناطقون بلسان الجنود ان سبب كل هذه الكوارث شخصان اثنان ، هما الحسناء « كواى فى » وابن عمها « شونج » ، وانهم لن يقاتلوا المهاجمين مالم يأمر الملك بقتل رأسى البلاء اولا ! .. وازاء ذلك لم ير الملك بدا من الرضوخ لمطلبهم ، فأعدم ابن العم ، بفصل رأسه عن جسده . أما الحسناء « كواى فى » فقد سمح لها بالانتحار ، بيدها لابيد عمرو !

وتضيف الاسطورة ، ان « كواى فى » كانت تكثر من

الاستحمام بالمياه المعطرة ، كى تظهر مفاتنها للملك ، فأقام من اجلها حوضا كبيرا للاستحمام ، فى الحديقة ، تحيط به شتى أنواع الزهور .. فكانت كلما شرعت فى اخذ حمامها ، طوت الازهار جميعا أكمـــامها ، من فرط ادراكها ان العطر والجمال اللذين يشعان من ((كواى فى)) كانا يسموان كثيرا على عطرها هى وجمالها !

هذه هى الاسطورة ، اما النموذج أو الرمز الـذى اقيم فى حديقة « بلسم النمر » لتذكير الناس بها ، فيمثل الحسناء وقد جلست على حافة حوض الاستحمام ، ومدت ساقها لاحدى وصيفاتها كى تغسلها لها .. بينما انهمكت وصيفة اخرى فى تدليك ظهرها .!

(وترى صورة لهذا المنظر المجسم مع هذا الكلام) .



حسناء الصين القديمة « كواى فى » تأخذ حماما ، وقد تولت وصيفتاها تدليك ســاقها وظهرها (اقرأ مع هذا الكلام الأسطورة التى خلدها الثرى الصينى بهذا التمثال فى حديقته)

عند هذا الحد تعال نغادر متاهات هذه الحديقة العجيبة ، كى نواصل جولتنا بين روابى هونج كونج .. فاذا القينا نظرة على ما يلوح لنا من معـــالم الجزيرة ، بدت لنا فى بطن السهل مساحة كبيرة مستوية ، زاهية الخضرة ، يحيط بها ســـور منخفض من الخشب الابيض .. انها حلبة سباق الخيل ، وهى حلبة فسيحة شاسعة ، وأن كانت لاتصل فى اتســـاعها الى مثيلتها فى (كلكتا) ــ التى تعتبر ثانى حلبة للسباق فى العـالم من حيث مساحتها ، بعد حلبة (سيدنى) المشهورة فى استراليا ــ **وهل يطيب للانجليز مقـــام فى بلد بغير ان يحيطوا انفسهم بأسباب الترف التى ألفوها فى مستعمراتهم ، وأنواع رياضاتهم التقليدية ؟** .. وهكذا أقاموا لأبنائهم فى هونج كونج ــ دون أهل الجزيرة من الصينيين ــ شتى النوادى والمؤســـــــات الرياضة : هذا لسباق الخيل ، وذاك لكرة القدم ، وثالث للجولف ، ورابع للرجبى ، وخامس للكريكت ، وسادس لسباق السيارات ، وسابع لتنس الطاولة ، عدا الأندية المتعـــددة التى اقاموها للعبة التنس وحمامات السباحة فى كل من هونج كونج وكاولون

وتنحدر بنا السيارة فى الكورنيش الجبلى الثعبانى ، مارة بمستشفى « كوين مارى » الحكومى ، المقام فوق ربوة عالية ، **وهنا عجبت كل العجب حين رأيته يطل على منظر هو ابعد مناظر العالم صلاحية لأن يقام فى مواجهته مستشفى ! أتعلم ماهو ذلك المنظر ؟ انه مقابر الجزيرة ! (وياله من اختيار موفق لتقوية الروح المعنوية فى نفوس المرضى!)** .. وتذكرت اننى لم أر هذه المفارقة الدالة على ذوق سقيم ضمن مناظر المكان كما صورت فى فيلم « جنيفر جونز » الذى أشرت اليه من قبل .. فسألت الدليل الذى يرافقنى عن جلية الأمر ، فقـال لى ان المبنى الذى صور فى الفيلم على انه المستشفى ، لم يكن سوى مبنى نادى المراسلين الأجانب بالجزيرة !

ووصلنا فى هبوطنا بالسيارة الى حـديقة رائعة مترامية ،

توقفت عندها ثم طفت بأرجائها ، فاذا هى آية فى جمال التنسيق، اقيمت فى جنباتها الشرفات الفسيحة الشبيهة بالمقاصير ، تصعداليها بضع درجات فاذا انت تشرف على الحديقة بأسرها . فاذا فرغت من نزهتك فى ارجائها وجدت باب الخروج يقودك الى سلم سحيق النهاية تهبط عليه عشرات الدرجات فاذاانت فى طابق أسفل من طوابق الجزيرة ، أو « كورنيش » آخر من طرقاتها .. وترفع بصرك الى باب الحديقة الذى خرجت منه ، فترى مكتوبا عليه هذا العنوان « حديقة النباتات » .. ثم تمر سيارة اتوبيس تهبط بك فى خلال دقيقتين الى المحطة النهائية للترام الجبلى فى سفح الجزيرة ،ومنها بعد دقيقتين أخريين الى اقرب مشرب للشاى تستطيع ان تتناول فيه قدحا ينعشك بعد هذه الجولة الشاقة

رحلة المساء التقليدية فى (هونج كونج)

• **والآن** ، هل جمعت شمل قواك المبعثرة ، وأرحت ساقيك ؟..اذن تعال نشترك فى احدى الرحلات المسائية التى تنظمها شركات السياحة ، ولتكن وجهتنا فى هذه المرة قرية (أبردين) . و (أبردين) هى قرية الصيادين الذين يعيشون فى قواربهم ، ويعتبرون اقدم سكان فى الجزيرة ، اذ كانوا النواة الأولى لها قبل ان يدركها العمران وتتطور الى ماهى عليه اليوم. وللقرية سحرها الخاص الذى يجعلها من احب معالم الجزيرة الى السياح !

.. فاذا بلغتها الفيت سطح الماء عندها — على الشاطىء الجنوبى من شواطىء الجزيرة — **« مغطى » بعدد لايدركه الحصر من القوارب التى يأوى اليها اصحابها وعائلاتهم ، ويقضون فيها حياتهم كلها .. وفى كل قارب منها « تجويف » تنام فيه العائله ، ومنضدة يأكلون عليها ، ومكان يطهون فيه طعامهم ، وهكذا .. ويحمل اليهم الماء الصالح للشرب كل يوم بواسطة قوارب متجولة مخصصة لذلك .** وبين تلك الآلاف من القوارب



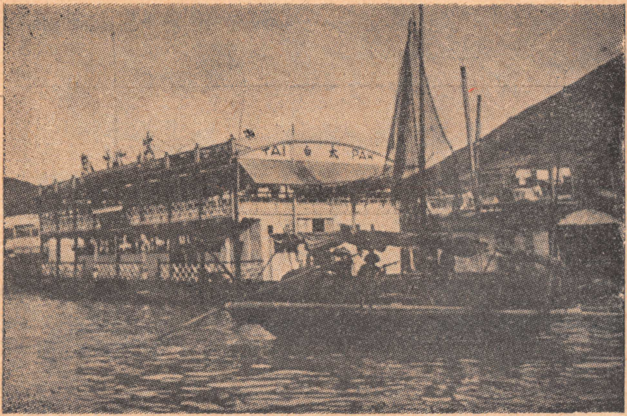
شاطىء قرية (أبردين) وقد ازدحم بمئات الزوارق التى يعيش فيها أصحابها ليل نهار

اقيمت بضع عوامات كبيرة فاخرة تستخدم كمطاعم عائمة للسائحين .. (ولعلك رأيت فى الفيلم السينمائى الذى حدثتك عنه منذ حين منظرا لبطليه وهما يتناولان العشاء فى احد هذه المطاعم) .. فاذا نزلت من السيارة فى قرية (أبردين) أحاطت بك « مجموعة » من الفتيات يرتدين القبعة القش العريضة والبنطلون ، وراحت كل واحدة منهن تدعوك لتستقل زورقها دون سواه ، كى تحملك الى المطعم العائم الذى تعمل لحسابه .

ويطلقون على تلك الزوارق هناك بالانجليزية كلمة (سامبان)، وعلى اولئك الفتيات (Sampan Girls) وهن يتقاضين اجرا لنقل الراكب لا يزيد على قرشين أو ثلاثة (بالعملة المصرية) . وقد يأخذك الزورق فى نزهة حول الخليج اذا اردت ، مقابل اجر اضافى . وتقتصر مهنة النقل بتلك الزوارق على الفتيات اللواتى دون سن العشرين ، واللواتى يساهمن بايرادهن الضئيل من هذا العمل فى اعالة عائلاتهن الكبيرة العدد . **ويدهشك ان ترى الفتاة النحيلة منهن – (والصينيات على وجه العموم نحيلات الاجسام) – تقود زورقها البالغ من الطول نحو سبعة امتار ، وتحرك مجذافها الذى لايقل طوله عن خمسة امتار ، فى حركة دائرية شبه آلية ، بقوة ونشاط ملحوظين !**

.. فاذا بلغت المطعم العائم ، الفيته يتألف من طابقين ،وقد انتثرت فى جنباته قطع الاثاث والرياش ذات الطابع الغربى ، واضاءته مصابيح « الفلورسنت » .. وهناك تنتقى بنفسك السمكة التى تحب أن تطهى لك ، من سلال معلقة خارج جدار المطعم ومدلاة الى نصفها فى الماء . وبعد ان تلتقط السمكة التى يقع عليها اختيارك ، (أو الجمبرى ، أو سرطان البحر .. الخ)، تستطيع أن تقف الى جوار الطاهى كى تتابع عن كثب عملية الطهو بالطريقة الصينية .. وفيما انت تتناول طعامك على مائدة نظيفة كما لو كنت فى افخر مطعم ، تدير بصرك فيما حولك ، داخل العائمة وخارجها ، فاذا انت تعيش فى جو اختلطت فيه أحدث وسائل الراحة ، بأقدم سبل العيش واكثرها بدائية !

وتسأل عن حياة أهل القرية ، ومواردهم من صيد الأسماك ، فتعلم أن منهم من أثرى من هذه المهنة حتى بات يستخدم عددا من الصيادين لحسابه الخاص .. ومنهم من اقام بماله



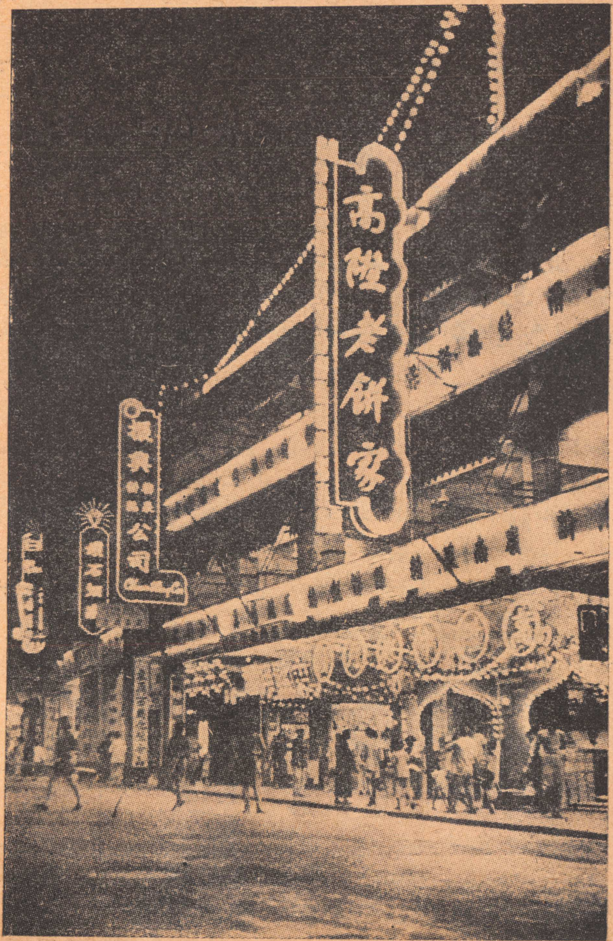
المطعم العائم « تاى باك » أحد مطاعم (أبردين)

مطاعم عائمة من هذا الطراز لاستقبال السائحين . **وتعلم ان « اسطول » صيد السمك فى هونج كونج يتألف من نحو ستة آلاف سفينة وزورق ، من جميع الاحجام ،ينطلق اكثرها حائما حول مياه الجزيرة سعيا وراء صيد من الأسماك والأحياء البحرية يكفى سواء للاستهلاك المحلى أوللتصدير الى الخارج ..**
ويشير لك محدثك الى انوار السفن والزوارق التى هامت على وجهها ، على مرمى البصر ، تبحث عن الرزق الحلال فى اعماق البحار .. ثم تدير بصرك الى ظلال الاضواء الخافتة التى تتراقص حولك على صفحة الماء ، منعكسة من آلاف القوارب التى أخلد سكانها للنعاس، أو أوشكوا .. فاذا فرغت من تناول عشائك فى هذا الجو الحالم، فتعال نناد احدى فتيات (السامبان) كى تقلنا الى الشاطىء حيث نركب السيارة عائدين الى السفح

الشمالى للجزيرة ، المواجه لتوأمها (كاولون) ، فنبلغه بعد نحو عشرين دقيقة ، عبر طريق ثعبانية ملساء تتلوى بنا بين الغابات والروابى والقصور الهاجعة فى احضان حدائقها الغناء ..

خلية النحل .. ونماذج من الاسعار !

• **فاذا** بلغنا المدينة الراقدة عند السفح ، ألفيناها تموج بالحركة الصاخبة ، والأنوار .. هل تود ان نقوم بجولة على الاقدام فى شوارعها الرئيسية ، ومتاجرها ؟ لا بأس ، فالساعة الآن لم تجاوز الثامنة والنصف ، ومتاجر هونج كونج لا تغلق ابوابها قبل التاسعة ، والتاسعة والنصف .. **ها نحن فى الشارع الأكثر ازدحاما بالمارة ، وبالحوانيت ، والمطاعم ، والملاهى . انه يدعى « كوينز رود » ، أى « طريق الملكة » ، وهو أشبه بخلية نحل دائمة الطنين .. رصيفاه يعجان بالمارة ، من أهل الجزيرة والسائحين ، من جميع الأقطار : الصينى ، والأمريكى والهندية وبنت السويد !** .. الكل يتكالبون على البضاعة الرخيصة ، ويخرجون من متجر ليدخلوا المتجر الذى يجاوره .. والمتاجر نفسها متعددة الجنسيات : هذا متجر «هوايتواى» الانجليزى ، الذى يبيع لك احذية لندن بجنيهين وثلاثة ، وقميص « أرو » المشهور بمائة وعشرين قرشا ! .. وهذا متجر « موهان » الهندى ، الذى ينافسه فيعطيك « البولوفر » الانجليزى المصنوع من وبر الجمل بجنيهين ونصف ، واذا ابتعت منه بنحو سبعة جنيهات أو ثمانية اعطاك حقيبة كبيرة من «الفيبر» ، عليها من الداخل اسم المحل ، كتذكار ! .. وذاك متجر ثالث لاجهزة الراديو وما شابهها ، يبيعك جهاز التسجيل الألمانى المشهور — « جروندج » — بثمانين جنيها ، وهو يباع فى المانيا ذاتها بمائة وثلاثين ! .. ومحل رابع يعرض قلم الحبر الامريكى ماركة « شيفرز » بأربعة جنيهات ، وهو فى نيويورك نفسها يساوى ثمانية ! .. والساعات السويسرية تباع باسعار



« كوينز رود » ، شارع المتاجر والملاهى فى (هونج كونج)
.. كما يبدو ليلا

زهيدة .. والثلاجات الأمريكية بنصف ثمنها فى أى بلد آخر !.. والسيارة « المرسيدس » الفاخرة بثمانمائة جنيه ! .. والمتر من اغلى الاصواف الانجليزية بثلاثة جنيهات أو اربعة على الاكثر ، ويأخذ «ترزى» المحل مقاسك فورا ليرد اليك القماش بعد ٢٤ ساعة سترة كاملة مفصلة أحسن تفصيل ، يبز حياكة أشهر ترزى عالمى ، و **« ترزية » هونج كونج يصعدون الى سطح البواخر العابرة المقدر لها ان تبقى فى الميناء يوما أو يومين، فيعرضون على الراكب عينة القماش ويأخذون مقاسه ثم يسلمون «البذلة» اليه فى اليوم التالى قبل ان تقلع به الباخرة !**

والتحف الصينية الثمينة ، والحرير الصينى ، والمفارش واشغال الابرة ، تباع بأرخص من سعرها فى الصين .. وأسطوانات بيتهوفن وباخ وتشايكوفسكى ـ الطويلة المدى ـ تباع بمائة وعشرين قرشا للاسطوانة .. وآلة التصوير «الرولى فليكس » ، بأربعين جنيها .. وخلاط الفواكه الكهربائى بعشرة جنيهات ! .. الى امثلة اخرى لا حصر لها لاسعار السلع الخيالية فى هذا الميناء الحر الذى لا شبيه له فى العالم !

والآن ، وقد اغلقت المتاجر ابوابها ، يخلى طلاب الشراء المنهومون مكانهم من ارصفة الشارع الكبير لفئة اخرى ، تتزايد بالتدريج ، هى فئة طلاب السهرات والملاهى .. ترى ما هى برامج الملاهى الليلية فى هذه المستعمرة العجيبة ؟ وأين تحب ان نقضى السهرة ؟

فى الأوبرا ؟ .. كلا ، فما دمنا فى طريقنا الى (بكين) ومدن الصين الكبرى فخير لنا ان نرجىء سهرتنا فى الاوبرا الى المناسبات القادمة ،كى نرى فن الاوبرا الصينى فى موطنه الأصيل، **فان فرق الاوبرا فى هونج كونج لاتقاس فى عراقة فنها الى زميلاتها من الفرق « المتعددة » التابعة لأوبرا (بكين) ، سواء منها الفرق المقيمة التى تمثل رواياتها على مسارح العاصمة**

الصينية ذاتها ، أو الفرق المتنقلة التى تقدم برامجها على مسارح الاوبرا فى (شنغهاى) و (نانكنج) و (كانتون) وغيرها من مدن الصين .

واذن فلكى نتزود بفكرة « صادقة » عن سهرات هونج كونج التقليدية ، تعال نقم بجولة بين أشهر ملاهيها الليلية ، فنقضي فى كل منها فترة قصيرة نلم فيها بألوان الفن التى تعرض فيها ، واعنى بذلك : الفن الصينى المحلى ، لا الفن الاوروبى الذى نستطيع ان نراه فى اى بلد آخر ..



المنظر التقليدى لكواكب الأوبرا الصينية : مغالاة فى المساحيق والثياب المزركشة !

شارع الملاهى

• **وقبل** ان نبدأ سهرتنا ، ما أحوجنا الى شراب منبه يعيننا على مغالبة التعب ، وينشط اذهاننا . هل لك فى قدح من القهوة المصرية ـ أو التركية كما يطلقون عليها ـ فى هذا المطعم الباريسى الانيق ؟ انه يسمى « باريزيان جريل » ـ ويختصرونها الى (P.G.) ـ وقد اكتشفته حين دعانى صديق هندى للغداء فيه ، قائلا انه اشهر مطاعم المدينة وأجودها طعاما ، وأرقاها روادا .. وعجبت لقوله حين وجدته يقودنى الى طريق جانبى ضيق متفرع من الشارع الكبير .. **لكنى لم**

اكد ادفع الباب الزجاجى وأدخل فى اثر صاحبى حتى خيل الى اننى حقا فى احد مطاعم باريس التقليدية : السقف المنخفض، والجدران الحمراء الداكنة ، وفى مواجهة الباب لوحة من نوع لوحات ((تولوز لوتريك)) فى (الطاحونة الحمراء) ! .. والسقاة برشاقتهم الفرنسية ، والمناضد بتنسيقها الجميل وورودها .. وقد امتلأ المكان بوجوه توحى بان صاحباتها واصحابها هن وهم بالفعل صفوة اهل المجتمع الراقى فى المدينة .. وفوق البار كتب على الحائط المثل الفرنسى المأثور : « وجبة بغير خمر ، أشبه بيوم لم تشرق له شمس ! »

(Un repas sans vin, une journée sans soleil)

.. وبعد ان اخذنا مكاننا الى احدى المناضد ، اقترح على صديقى أن اجرب الطبق الروسى الذى اشتهر المطعم بتقديمه : (Chicken Marshad) وهو نوع من الدجاج «المخلى» من العظام ، محشو بالبطاطس والجبن والخضروات ! .. وقد وجدته بالفعل طبقا شهيا للغاية ، بعيدا كل البعد عن الاطعمة الاوربية أو الشرقية المألوفة . وحين فرغنا من الطعام قال لى صديقى الهندى انه سيفاجئنى مفاجأة سارة لاتخطر ببالى !.. ثم نادى الساقى وطلب اليه ان يجيئنى بقدح من القهوة التركية ! وأيقنت أن الرجل سيقدم لى شيئا لاطعم له ولا رائحة ، زاعما انه القهوة التركية ! لكن دهشتى تضاعفت حين جاءنى بقدح امتع وألذ من اى قدح نشربه فى مقاهى القاهرة ، وكان السخاء باديا للعيان فى حجم الفنجان وكثافة الزبد الذى يطفو على سطحه ! وكم تظن كان سعر القدح الضخم ؟ .. ستة قروش فقط ! .. اما طبق الدجاج «الروسى» فكان ثمنه نحو خمسين قرشا ، وهو مبلغ لا يقاس عليه اذا اريد معرفة نفقات المعيشة فى الجزيرة ، ففى مواجهة ذلك المطعم مطعم آخر اسمه A.B.C. يقدم وجبة العشاء الكاملة بما فى ذلك الحساء والسمك باربعة وعشرين قرشا فقط

وفى هونج كونج عـدد لا حصر له من المطاعم ، من جميـع الدرجات والانواع ،بعضها اوربى الجو ، مكيف الهواء ،وبعضها صينى الطابع ، أو هندى السمات .. ومنها ما يقدم الاطعمة الاوربية وحدها ، وما يقدم الاطعمة الاوربية والصينية معا ، حسب الطلب ، ومنها ما يقدم الاطعمة الصينية وحدها . وقد تكون مشوقا الى معرفة ألوان هذه الاخيرة ــ وطريقة تناولها بالعصى الخشبية ! ــ غير انى أوثر ارجـاء هذا الحديث حتى يجىء اوانه الطبيعى عند وصولنا الى (كانتون) و (بكين) ، حيث نتناول الطعام الصينى الأصيل !

هـل فرغت من تذوق قدح القهوة التركيـة ، واستمرأت نكهته ، وانتعشت للسهرة ؟ اذن هيا بنا نغادر المطعم الباريسى لنبدأ جولتنا فى شارع الملاهى .. ولكن مهلا ، ما هذا؟ « فرش» ضخم للكتب والمجلات العالمية من جميع الانواع، اقيم على رفوف خشبية بجوار الباب الخارجى للمطعم . يالها من تشكيلة ضخمة، اشهى منظرا من الطعام الذى فى الداخل ! .. حتى لتغرينى بالتوقف امامها اكثر من نصف سـاعة ، أتصفح وأقلب ، ثم أنتقى مجموعة شائقة من الكتب وأمضى ..

والآن ، بأى ملهى تود ان نبدأ جولتنا ؟ .. هذه لافتة مضاءة تعلن عن برنامج صينى ، والملهى فى الطابق السادس ، فلنستقل المصعد . وندخل الى قاعة مكيفة الهواء ، خافتة الضوء ، فى صدرها لوحة كبرى لامرأة عارية ،داخل اطار زجاجى ، وتحتها جوقة موسيقية ، وفنـانة صـينية تغنى ، بالانجليزية ، اغـانى دافئـة . انه اذن برنامج « انجلو ــ صـينى ! » .. ونجلس على اريكة فى مقصورة جانبية ، وتقبل فتاة صينية رقيقة المحيا ، قد تدلت على كتفيها ضفيرتا شـعر ، وحملت على صدرها صندوقا به بعض المأكولات الخفيفة ، كى تختار منه ما يروقك ، على ضوء بطارية رشيقة فى يدها . ويقبل فى

اثرها كبير السقاة يعرض عليك ان يرسل اليك فتاة تجالسك ! .. وتعتذر اليه بانك لن تطيل البقاء فى المكان .. وترى على قيد خطوات منك شابا وفتاة يتبادلان القبلات على مرأى من الجميع ، دون ادنى حرج . أهذا هو البرنامج الصينى المزعوم ؟

فلنخرج من هذا الملهى الى سواه ، سيما وان القوم هناك لا يتقاضون تذكرة عند الدخول ـ كما هو الحال فى سائر البلاد ـ فضلا عن انهم والحق يقال معتدلون للغاية فى اسعار الطلبات .. ونمضى الى ملهى آخر يجاوره .. ثم ثالث .. ثم رابع .. فخامس .. الخ .. فنقضى فى كل منها ربع ساعة ، ريثما نسمع اغنية او نشاهد رقصة ، ونحن نلقى نظرات فاحصة على جو المكان : على الديكور ، والزخرفة ، والاضاءة ، وطريقة الخدمة ، والسحن المتفاوتة للحاضرين ـ من شتى الجنسيات والاقطار ـ ثم نخرج من هذه الجولة بين عشرات الملاهى ، (وفى كل من الجزيرة وكاولون بدل العشرات مئات !) **نخرج بفكرة واضحة محددة : ان هونج كونج شىء ، والصين شىء آخر ! هنا فنون سطحية ، اختلطت فيها السمات الصينية بالاوربية فضاعت هذه فى غمار تلك ! .. فنون « تصنع » صناعة ، بغية جلب السياح وامتاع غالبيتهم العابرة التى تنشد مجرد التسلية** . ومن اجل هذا نثروا فى كل ملهى عشرات من الحسان ذوات السحنة الصينية والاثواب الانيقة المشقوقة ، لكل طالب صيد على طريقة البحارة الذين يحبون ان يتزودوا من كل ميناء بمغامرة ، وذكريات ! .. ومن فاض عن حاجة هذه الملاهى من الحسان خرج الى الطريق يعترض طريقك امام ابواب الفنادق والحوانيت ، ليدعوك الى غرفته أو غرفتك .. ولو اتيح لى ان اكتب اليك يومئذ رسالة من هونج كونج ذاتها ، لكنت اطلقت عليها (باريس) الشرق الأقصى ، فقد كانت المفارقة شاسعة ـ فى ميدان اللهو ـ بينها وبين مدن الهند ،

او حتى بينها وبين القاهرة ـ (وسوف ترى ان المفارقة ستكون أشد وابعد مدى بينها وبين مدن الصـــين الشعبية ، بلا استثناء) ـ لكنى أعود الآن فأجرد هونج كونج من هذا اللقب الذى يشبهها بباريس ، **بل انى اخلع عن باريس ذاتها ـ دون تردد ـ هـذا الثوب الذى اشتهرت به ، ثوب التحرر من كل قيد فى باب العلاقات بين الجنسين .. فان باريس خليقة بأن تعتبر فى نظر طلاب اللهو ((معبدا)) ، وهونج كونج ((سجنا)) ، بالقياس الى .. طوكيو !**

أعلم انها مفاجأة بالنسبة لك ، لكنها كانت مفاجأة أشد وقعا بالنسبة لى .. فأنت حين تزور طوكيو معى ـ بعد عودتنا من الصين باذن الله ـ سوف تكون مهيئا لهذه المفاجأة بعض الشىء ، بعد ان آثرت ان امهد ذهنك لها الآن بهذه السطور ، تخفيفا لحدتها ، أو ـ بلغة الاطباء ـ تحصينا لك منها بجرعة مخففة ، تكون بمثابة المصل الواقى ! .. اما بالنسبة لى ، فقد أدهشتنى المفاجأة ـ التى لم تكن لها مقدمات ـ الى حد جعلنى اتخذها موضوعا للدراسة ، أسأل فيه وأناقش كل من توسمت فيه القـدرة على تفسير هـذه الظاهرة التى حيرتنى ، وهى : **كيف استطاع شعب اليابان ان يجمع ، فى آن واحد ، بين هذا الاغراق الهائل فى اللهو والمتعة ، الى حد التحرر من كل قيد .. وبين ذاك الاغراق ـ الهائل ايضا ـ فى الجد والعمل والانتاج ؟ !**

لقد بدا لى الأمر لغزا جديرا بالدراسة كما قدمت ـ (رغم انى لست من المتزمتين بحال ، بل انى اعد نفسى من دعاة التحرر من كثير من التقاليـد ، والتمرد على كثير من الاوضاع !) ـ ولكن ما رأيته فى طوكيو فاق نزعتى التحررية بمراحل ، وسبقها بأميال ، بل لم لا اقول انه صدمها وحيرها ، فذهبت أسأل ، وأبحث ، وأنقب ، عن تفسير لهذا اللغز : كيف استطاع شعب



يابانية من فنانات مسرح « كوكازاى » المشهور بطوكيو ، وهو يضارع ملهى « الفولى برجير » بباريس ، بل يتفوق عليه !

اليابان أن يلهو دون وعى ودون حدود حتى الصباح .. ثم يعمل وينتج ويجد ، دون وعى ودون حدود ايضا ، من الصباح حتى المساء ؟ !

كيف استطاع هذا الشعب العجيب ان يظفر – فى ميادين العلم ، والصناعة ، بل والحرب ! – هذه الظفرات الجبارة التى أذهلت العالم ، دون أن يحرم نفسه من سبب من اسباب المتعة ؟

.. بل كيف استطاع ، وهو على هذه الحال من التحرر المطلق ، ان يسبق شعوب العالم قاطبة فى ميدان الطب الجراحى ، كما أكد لى طبيب من (بورتو ريكو) بأمريكا الوسطى – هو الدكتور « ينارو باريراس » – وكان قادما لتوه من حضور مؤتمر عالمى للجراحة عقد فى هونولولو فى اواخر نوفمبر الماضى ؟ ! (وقد شهدت مصداق قوله فى قاعة العمليات بمستشفى كلية الطب فى طوكيو ، حين حضرت فيها جراحة خطيرة اجريت فى القلب !)

لقد وجهت هذه الأسئلة الى كثيرين من اليابانيين الذين التقيت بهم فى طوكيو .. **وجهتها الى الأديب « ايشيروكابيتا »** الذى كتب اول دراسة جدية مزودة بالأسانيد التاريخية والاستقراءات الاجتماعية لنظام فتيات « الجيشا » فى اليابان ، اللواتى يلتحقن بمدارس خاصة لمدة خمس سنوات ، تمهيدا لاحترافهن مهنة الترفيه عن الرجال ، بالغناء والرقص والعزف على القيثارة اليابانية التى يطلقون عليها SAMISEN

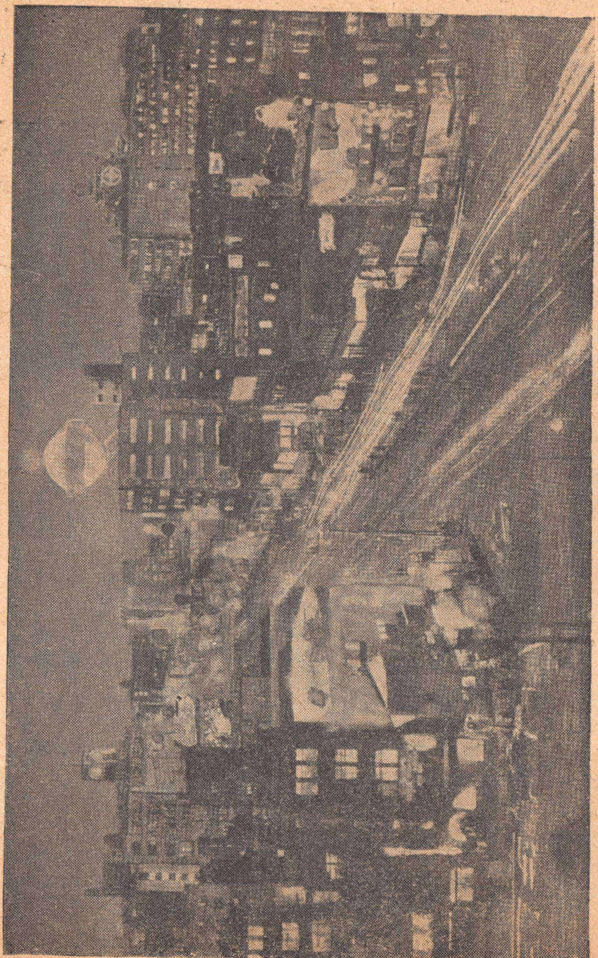
ووجهت الاسئلة ذاتها الى الصحفى والكاتب « زيوسوكى هوندا » مدير وكالة JAPAN PRESS ، والى الفنانة ممثلة المسرح اليابانية الكبيرة « تيروكو كيشى » ، حين تعرفت بهما فى الندوة التى أعقبت الاحتفال الكبير الذى دعتنا اليه الجمعية اليابانية للتضامن الاسيوى فى دارها بطوكيو مساء ٢٧ اكتوبر الماضى .



فى الاحتفال الذى أقامته للوفد الثقافى جمعية التضامن الاسيوى بطوكيو ، يرى رئيس الوفد الدكتور السعيد مصطفى السعيد مدير جامعة الاسكندرية يلقى كلمة ... والى يمينه الدكتور أحمد نجيب هاشم وكيل وزارة التربية والتعليم ، فالمحرر ..

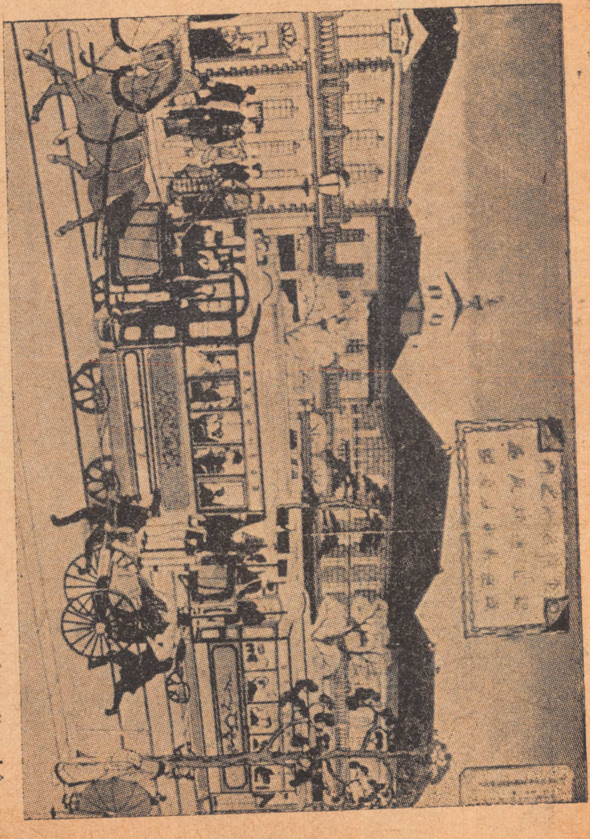
ووجهت نفس الاسئلة الى المالى الكبير صاحب مصانع النسيج ((ج . و . امبلر)) ، الذى التقيت به فى الطائرة اثناء عودتى من طوكيو ، فتحدثنا فى هذا الموضوع طويلا

لقد رأيت فى طوكيو – وعلى الأخص فى حى (جنزا) المشهور بمتاجره العالمية الضخمة وملاهيه التى لا تقع تحت حصر – ((عشرات)) الشوارع الكبرى التى تسير فيها السيارة نحو نصف ساعة دون ان تنحرف ، بين صفين من الابنية المضاءة بأنوار الفلورسنت والنيون المتراقصة بلا انقطاع .. **وفى كل شارع منها ، وكل بقعة من كل شارع ، تجد بين كل ملهى وملهى ، ملهى ثالث !** .. هذا تصعد اليه بسلم ضيق طويل ،



منظر ليلى لشارع الملاهى والمتاجر الكبرى بطوكيو ، ويطلق على الشارع وعلى الحى كله اسم «جنزا» ومعناه «حى الفضة» لانه كان فى الماضى مركز صياغة الحلي الفضية

وبجواره آخر تهبط اليه من الشارع بسلم ضيق طويل ! .. وثالث تدخله خلال باب واسع عريض ، شأن الملاهى العصرية .. ورابع تحسبه مطعماً فاذا دخلت ألفيته ملهى ! .. وخامس



شارع « جنزا » كما كان يبدو فى عام ١٨٩٠ ، وترى فيه عربات الترام التى يجرها العصان . وفى يمين الصورة عربة الريكشو التى يجرها الآدميسون ، وقد ألغى استعمالها فى اليابان منذ زمن



شارع جنزا كما يبدو اليوم

تظنه حانوتا فاذا دخلت وجدته ملهى ! .. وسادس تخاله بيتا فاذادخلت ظهر أنه بدوره .. ملهى !..وقد أحصيت مرة عدد الملاهى فى مسافة من الطريق لا تزيد عن المائة متر ، فبلغ خمسة واربعين ملهى ! .. ولا تعجب ، فان ابواب الكثير من الملاهى اليابانية القديمة لا يزيد عرضها عن متر واحد ، بحيث

لا يتسع لمرور شخصين فى وقت واحد ! .. وقد خرجت من هذا الاحصاء بأن فى طوكيو وحدها لا أقل من عشرة آلاف ملهى ، ان لم تزد ..

فأنت تسير فى هذه الشوارع اميالا ، وتنفق من الوقت ساعات ، دون ان تنقطع لافتات الملاهى وعلب الليل من كل لون يخطر على البال : هذا على الطراز اليابانى تستقبلك فيه حسان يرتدين ثيابهن التقليدية ويجلسن على حشيات ناعمة على الارض .. وذاك اشبه بالبار المضاء بانوار خافتة ، **وقد جلست فيه النساء اليابانيات فى ثياب اوربية ، ولكن عاريات الصدور تماما ! (واكثر راقصات كازينوات اليابان يرقصن هكذا !)** ..و هذا كباريه عصرى ضخم اشبه بقصر من البللور الازرق والاحمر والاسود ، تجتاز بابه فاذا انت امام معجزة من معجزات التصميم والزخرفة لم ار لها مثيلا فى اية عاصمة اوربية زرتها .. فقد جلست جوقة الموسيقى على منصة مستديرة معلقة فى منتصف المسافة بين الطابق الارضى وسقف الطابق الخامس للملهى ، كأنها « نجفة » مدلاة من السقف ، وحولها خمسة طوابق من الشرفات الدائرية التى جلس فيها رواد الملهى

والى جانب الملاهى التى من نوع الكباريهات وعلب الليل ، **توجد فى طوكيو مئات المسارح ودور الاوبرا وصالات الاستعراض والميوزيكهول (التى يفوق بعضها استعراضات « الفولى برجير » بباريس !)** ، ثم قاعات الموسيقى الكلاسيكية ومسارح الفن اليابانى القديم المسمى « كابوكى » .. والمطاعم والحانات الخاصة التابعة لكبريات الشركات والمؤسسات اليابانية ، التى تقوم فيها فتيات (الجيشا) بخدمة روادها والترفيه عنهم بالرقص والغناء والعزف على القيثار ..



اليابانية أبرع نساء العالم فى تنسيق الازهار ، وترى فى الصورة حسناء تتأهب لهذه المهمة ، وقد جلست على حشية على الارض ، كعادة بنات جنسها .. فالبيت اليابانى لا مقاعد فيه ، ولا سرير ، بل « مرتبة » على الارض ! ...

وهناك الحمامات اليابانية الفريدة فى نوعها (وعددها فى طوكيو وحدها ١٨ حماما كبيرا ، يتألف كل منها من مبنى يشبه العمارة الضخمة ،يضم المئات من غرف الحمام الصغيرة،

ويطلقون على هذه الحمامات اسم ((اونسن)) . **وفى هذه الحمامات تجد الفتيات اللواتى يرتدين زيا اشبه بلباس البحر ((البكينى)) المؤلف من قطعتين ، يقمن باعطائك حمام البخار التمهيدى ، ثم يغسلن لك جسمك بالماء والصابون** ، وبعدئذ تأتى مرحلة تدليك الجسم ، ظهرا لبطن ، بطريقتهن الخاصة التى يدرسنها فى معاهد خصصت لذلك .

بل ان التدليك بمعرفة فتيات محترفات لهذه المهنة لايقتصر فى اليابان على الحمامات ، وانما هو نظام شائع فى الفنادق ، حيث تستطيع فى اى وقت تشعر فيه بشىء من التعب أو البرد ، ان تدق الجرس لتطلب من خادمة الفندق ان ترسل اليك فى غرفتك فتاة من المخصصات للتدليك ، ويطلقون عليهن : Massage Girls ، فلا تمضى دقائق حتى تدخل عليك فتاة لاتزيد سنها عن ثمانية عشر عاما ، مرتدية زيا انيقا سماوى اللون ، وحذاء من المطاط ناصع البياض ، تحمل فى يدها علبة ((بودرة)) صغيرة ، **فتأخذ فى تدليك جسمك ــ وانت مرتد ثيابك الداخلية فى هذه المرة ــ مبتدئة من الكتفين ، الى الذراعين ، والظهر ، فالساقين . ويتقاضى الفندق عن عملية التدليك هذه ٣٥٠ ((ين)) بعملة اليابان ، اى خمسة وثلاثين قرشا مصريا .**

ومن أغرب ملاهى طوكيو أيضا ملهى ((سفينة الاستعراض)) ، ويتألف من ثلاثة طوابق ، انتشرت فيها نحو ثلاثمائة فتاة يرتدين ما يشبه ((مايوه)) الاستحمام ، ولا تكاد تدخل من الباب حتى يتزاحم عليك عدد منهن ، كل تبغى ان تجالسك أو تراقصك وتقضى السهرة معك . وفى ملاهى طوكيو نظام شائع هو نظام ((المضيفة)) ، الذى يتيح لك ان كنت وحيدا أن تنتقى من تروقك من بين عشرات الحسان الفاتنات الأنيقات المخصصات لذلك ، كى تجالسك وتؤنس وحدتك طيلة السهرة ، مقابل مبلغ الف ((ين)) ــ اى جنيه مصرى ــ دون ان تفرض عليك

مشروبا غالى الثمن كما تفعل « الأرتيست » فى سائر بلاد العالم الاخرى



ثلاث من فتيات « الجيشا » اليابانيات ، اللواتى يدرسن فنون الغناء والعزف والرقص لمدة خمس سنوات ... وترى مبلغ عنايتهن بتصفيف شعرهن وزركشة أزيائهن !...

فاذا خرجت الى اى شارع من شوارع اللهو فى طوكيو ، أو وقفت لحظات امام اى ملهى ، أو فندق ، فلا بد ان يتقدم منك شاب حسن المظهر ، **يعرض عليك - بغير مقدمات أو مواربة - ان يقودك الى بيت من بيوت الدعارة ، أو الى حيث تتفرج على ((مشهد خاص)) من مشاهد الشذوذ الجنسى ، أو المشاهد الجنسية الطبيعية ، أو الافلام الجنسية المثيرة ! .. الخ**

الى هذا الحد تمارس الاباحة الجنسية فى اليابان ، بلا قيود ، ولا حدود ، من أى نوع كانت ! .. فلا منع ولا تحريم لأى لون من الوان المتع التى تدخل فى هذا الباب .. والفنادق مفتوحة على مصراعيها لأى رجل وامرأة ، دون ادنى تدخل أو تعرض لحقيقة العلاقة بينهما أو مداها .. ونساء الطريق منتشرات فى كل خطوة ، وامام كل فندق وملهى ، يعرضن انفسهن على كل عابر ، قبل ان يلقى اليهن نظرة أو تحية .. وبيوت البغاء فى حى (يوشيوارا) متراصة على جانبى الشوارع ، تشرف عليها الدولة من الناحية الصحية ، وتصرح بها - (ولعل هذه أهون الظواهر التى تشهدها فى اليابان ، فى هذا الباب ، اذ تشاركها فيها الكثير من دول العالم وعواصمه ، وفى مقدمتها (روما) عاصمة الفاتيكان) - والقوادون الى بيوت الدعارة والشذوذ ينتشرون فى الشوارع الكبرى بشكل غريب ملحوظ ، بحيث لاتسير مائة خطوة الا ويستوقفك واحد منهم .. الأمر الذى لايحدث فى (باريس) نفسها الا فى النادر - **فلقد قضيت فى باريس عشرة ايام ، لم يعترضنى خلالها من تجار الشذوذ غير شخص واحد ، فى ميدان (بيجال) .. أما فى طوكيو ، فخلال الايام الثمانية التى قضيتها فيها ، اعترض سبيلى نحو ثلاثين او اربعين من هؤلاء ! ..** بل لقد وقع لى ما هو أعجب من ذلك ، حين كنت أعبر الميدان المواجه لفندق (نيكاتسو) ، وهو من اكبر فنادق المدينة ، وكان ذلك فى الساعة السابعة مساء - وليس فى الثالثة او الرابعة بعد منتصف الليل مثلا ! - اذ اعترضنى



حسناء يابانية تسير فى شارع «جنزا» مرتدية زى اليابانيات القومى

شاب يبغى التحدث الى ، فأدركت انه سيعيد على سمعى نفس « الاسطوانة » التى سمعتها مرارا من سواه ، فلم أعبأ به وهممت بمواصلة المسير، واذ ذاك بادر يوضح لى اننى اخطأت ولم افهم قصده الحقيقى ، فانه ليس قوادا — لا سمح الله ! — كما تبادر الى ذهنى ولا شك، وانما هو «فتى مخنث» ، أو على حد تعبيره بالنص GAY BOY ، يمارس الشذوذ ولا يرشد اليه ! (ويرحم الله مخنثى (نابولى) المشهورين وقواديها !)

ومرة أخرى أتساءل ، وأدعو علماء النفس وعلماء الاجتماع الى الادلاء برايهم فى هذا اللغز العجيب : كيف استطاع اليابانيون ان يجمعوا بين المغالاة فى اللهو ، وبين التفوق الهائل فى العمل، فى وقت واحد ؟ ! .. هل يرجع ذلك الى استعداد خاص فيهم ، وعبقرية جبارة ،غير عادية ؟ وكيف كان يكون انتاجهم فى العمل، لو عاشوا فى ظل حكم يفرض عليهم التقشف الكامل والحرمان من كل اسباب اللهو الرخيص ،كما هى الحال فى الصين الشعبية مثلا ؟ هل كان نهوضهم يكون اقوى وأعظم ، أم لعله — ومن يدرى ! — كان عندئذ يتناقص ؟ .. **وهل يختلف تأثير اللهو على العمل ، بين شعب وشعب — طردا وعكسا — أم ان للأمر قاعدة وقانونا ثابتين ، يقضيان بأن الاغراق فى اللهو يؤدى الى النقص فى الانتاج ، والى الانحلال الخلقى.. والعكس بالعكس ؟**

.. الواقع ان المشكلة ليست بالسهولة التى تتبادر الى الذهن لأول وهلة ، فالثابت ان هناك شعوبا — كالشعب الفرنسى مثلا — أدى بها اللهو الى الانحلال .. والقاعدة ذاتها تسرى على الصين ، التى نهضت فى ظل التقشف الحالى نهضة جبارة سأحدثك عنها فى حينها .. فهل شعب فرنسا وشعب الصين من طينة ،وشعب اليابان من طينة اخرى ،بمعنى ان لكل شعب طبيعته الخاصة ، وظروفه ، وبيئته ، وميوله ، التى تفرض عليه اتجاها معينا ، قد لايصلح لغيره ، أو قد يؤدى بهذا الغير الى

عكس النتيجة التى أدى به هو اليها ؟ .. **ان صح هذا فأنا ادعو علماء النفس والاجتماع فى كل دولة الى ان يدرسوا طبيعة**




من العادات المألوفة فى كل من الصين واليابان أن تحمل الام طفلها فى كيس تضعه على ظهرها ، كما يبدو فى هاتين الصورتين ، (واليمنى منهما لصينية ، واليسرى ليابانية)

شعبها ، ليقرروا مدى الحرية التى ينبغى ان يمنحها ، ونوع النظام الاجتماعى الذى يصلح له ، وينهض به ..

أسمعك توشك ان تقاطعنى بقولك ان اباحة هذا الاغراق فى اللهو قد تكون شيئا جديدا على اليابان ، ادخلته عليهـا السيطرة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية ، ربما لتبذر فيها بذور الانحلال ، وتستريح من منافستها لها فى التجـارة ، ومناوأتها لها فى الحرب ! .. ويتفرع عن ذلك ان هذا الاتجاه الجديد قد يكون عاق عجلة التقدم فىاليابان ، وعرقل نهوضها الذى أذهل العالم قبل الحرب الاخيرة !

لكنى ابادر فأنفى هذا الظن ، وأبعد هذه الفكرة عن نطـاق البحث ، بعد ان خطر ببالى هذا الاحتمال وتبينت عدم صحته .. للأسباب الآتية :

اولا : ان الشوارع الرئيسية ، التىتتزاحم فيها ابواب دور اللهو بالمنـاكب ، لم تشق وتنشأ حديثا ، وانمـا هى شوارع انشئت منذ عهد بعيد ، و٩٠ فى المائة من ملاهيها قديمة البناء والطراز ـ من الخارج ـ وقد اقيمت منـذ عشرات السنين ، قبل الاحتلال الامريكى !

ثانيا : ان هذا الاغراق فى اللهو لا يمـكن ان يكون من صنع امريـكا أو من وحيها ، **لأن اقوى جيش احتلال فى العـالم لا يستطيع ، مهما بلغت سـطوته ، ان يفرض على شعب من الشعوب مسلكا اجتماعيا معينا ، أو اتجاها ليسمن طبعه !..** فضلا عن ان اباحة اللهو على هذه الصورة ليست معروفة فى أمريكا ذاتها ، أو فىاية دولةأخرى مندول الغرب..أو الشرق!

ثالثا : ان هذا العدد الضخم من دور الملاهى لا « يعيش » على رواد امريكيين ، بل ان نسـبة هؤلاء بين رواده ضئيـلة لا تذكر ، وانما غالبية الذين يترددون على كباريهـات طوكيو يابانيون ، أو سائحون من دول اخرى غير امريـكا .. وبهذه



من اليابانيات من تحرص على ارتداء زيها الوطنى ، ومنهن من ترتدى الزى الاوربى ، وترى فى شوارع طوكيو خليطا من الفريقين

المناسبة فانك لا تلحظ فى طوكيو أثرا للأمريكيين ، سواء العسكريين أو المدنيين ، لا فى الشوارع ولا فى الملاهى ولا فى المجتمعات .. ولا تكاد عينك تقع على نفر منهم الا فى الفنادق ليلة الأحد ، حين يخرجون من ثكناتهم البعيدة ليقضون يوم عطلتهم الاسبوعية . **وقد عدت من طوكيو مقتنعا بأن الاحتلال الامريكى لم يستطع ان يتغلغل الى ما وراء نطاقه السياسى ، فلم يترك فى القومية اليابانية أو فى المجتمع اليابانى — بتقاليده الموروثة — أى أثر ملحوظ**

رابعا : ان هذه الصور من الاباحة ، فيما بدا لى ، متأصلة فى صميم الطبع اليابانى الموروث ، فهى جزء من تقاليدهم وتراثهم ، لا يرون فيه اى غضاضة أو وجه للاستغراب ، بل اكاد أشعر انهم يعتزون بحريتهم الشخصية فى هذا المضمار ، ويفخرون بها .. سيما وانها لا تؤثر فى كيان الاسرة أو تصيبه بأى تصدع او انحلال ، بالمعنى المفهوم ، **فالأسرة عندهم — فيما سمعت — بخير ، لها احترامها وحصانتها ، والزوجة مخلصة لزوجها ، تحبه وتطيعه ، والزوج يحب زوجته واولاده ، ويوفر لهم كل مطالبهم ، المادية والمعنوية** .. اما ان تضطره متاعب الحياة الى ان ينشد لنفسه السلوى ، أو ينشد لأعصابه الراحة ، فى رفقة فنانة من فتيات (الجيشا) تغنى له بصوتها العذب وهى تعزف على القيثار ، أو ترقص له رقصة كلاسيكية رفيعة ، لها اصول و « مدارس » .. او ترفه عنه بقصة أو طرفة ترويها ، أو تقدم له الطعام والشراب بيد حانية تفهم متاعب الرجال .. اما هذا كله فشىء آخر ، يدعم الاسرة فى نظرهم ولا يهدمها ، لأنه يجدد نشاط الرجل ومعنويته ، وجلده على العمل والكفاح .. (وللقوم فى هذا فلسفة يطول شرحها ، سوف أعود اليها بالتفصيل فيما بعد) .

خامسا : وأما ان فى طوكيو وحدها من نساء الهوى المحترفات قرابة ثلاثة ارباع المليون — (من بين تسعة ملايين نسمة تقطن المدينة التى انتزعت منذ شهر مايو الماضى أولوية التعداد من نيويورك ولندن !) — فذلك أمر قد يكون الغرض منه تشجيع السياحة ، والترفيه عن الاجانب — الذين يدرون على خزينة الدولة دخلا هائلا ! — كما قد يكون الغرض منه الترفيه عن اليابانيين انفسهم .. او الأمرين معا ، لست أدرى .. لكن الذى استطيع ان اجزم به على اى حال — وهذا يعود بنا الى اللغز العجيب ، أو الحلقة المفرغة ! — هو أن الشعب اليابانى برغم هذه السياسة «الترفيهية» ، أبعد مايكون عن الانحلال .. **وانه اذا كان قد استطاع ان يذهل العالم بنهضته السريعة قبل الحرب الاخيرة ، فانه اليوم اقوى وأشد نهوضا ، وانتاجا ، منه فى أى وقت مضى !**

لقد زرت فى طوكيو المعاهد والجامعات ، والمتاحف — على اختلافها — والمعابد ، والمستشفيات ، والمطابع ، ودور النشر .. وذابت نفسى حسرات وأنا اتنقل بين أقسام أضخم مكتبة فى آسيا ، وهى مكتبة (ماروزين) التى لم أر لها مثيلا فى باريس نفسها ، والتى تشترى منها كل ما يخطر ببالك من انواع الكتب ، بشتى اللغات .. وتضاعفت حسرتى وأنا ادخل دار صحيفة (مينيتشى) اليومية ، التى تطبع حوالى ثمانية ملايين نسخة يوميا ، لا سيما حين وقفت من المشرفين عليها على الحقيقة المزعجة — لنا — التى تقرر ان الوعى « القرائى » والاقبال على شراء الصحف فى اليابان قد بلغ الحد الذى يباع فيه من الصحف اليومية كل يوم نحو ٣٥ مليون نسخة ، أى بمعدل نسخة لكل شخصين ونصف شخص من السكان !

.. **وزرت فى العاصمة القديمة — (كيوتو) —** آثارها ، وحدائقها ، ومراكز بعض الفنون التطبيقية فيها ، كالحفر على

الخشب ، والرسم على الحرير ، كما زرت فيها اقدم مدرسة لتخريج راقصات الجيشا ـ (ومدة الدراسة فيها خمس



احدى فتيات « الجيشا » جالسة فى حديقة بمدينة « كيوتو » ـ عاصمة اليابان القديمة ، حتى عام ١٨٦٨ ـ وقد كانت الموطن الاصلى لنظام « الجيشا »

سنوات !) ـ حيث خلعت حذائى على الباب قبل ان يسمح لى بالدخول الى حرم المعهد العريق الذى انقضت عليه ٣٠٠ سنة ! .. ثم زرت مشربا للشــاى ، على الطراز اليابانى ، فجلست على الارض وحضرت « العملية » التقليدية لاعـداد الشاى المر وتقديمه مع الحلوى ، بعد الانحناء له فى خشوع!.. وفى نهاية اليوم نمت فى حانة يابانية ، على فراشهم التقليـدى الذى يتألف من حشية على الارض ووسادة ملفوفة ، محشوة بالقش !

وفى (اوزاكا) ـ المركز الصناعى الضخم ـ زرت مصنعين ، احدهما للنسيج والآخر للمواد الكيميائية ،وشهدت من مظاهر التقدم الصناعى الجبار ما سأحدثك عنه باسهاب فيما بعد . وكانت الطائرة اليابانية السريعة التى اقلتنى بين اوزاكا وطوكيو ، مصداقا آخر لهذا التقدم . وفى تلك الطائرة ، قرأت فى الصفحة الأولى من صحيفة ذلك الصبـاح ، الثانى من ديسمبر ، نبأ وشك اقرار الحكومة لبرنامج العشر سنوات الخاص بتحسين الطرق والسكك الحديدية والموانىء ، وهو برنامج سوف يكلف الدولة ١٧٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ (الفا وسبعمائة مليون) جنيه مصرى!

والخلاصة ، اننى رأيت وسمعت من مظاهر نهوض الشعب اليابانى ، فى ميـادين الصناعة .. والتجـارة .. والطب .. والعلوم .. والفنون .. والآداب ـ (وهو ما سوف احدثك عنه جميعا بالتفصيل فى حينه) ـ ما يكذب كل مظنة انحلال ، أو تدهور ، أو حتى توقف أو تمهــل فى النهوض الى مستوى لا أستطيع التكهن به !

ويبقى اللغز العجيب الذى شرحته لك .. بغير حل !

ومرة اخرى .. أدعو علمــاء النفس والاجتمــاع الى ابداء رأيهم فى هذا الموضوع !



فى حديقة معبد ((شنتو)) ـ وهو اسم الديانة الرئيسيـة لليابانيين ـ التقطت عدسـة ((كتابى)) هذه الصـورة لثلاثة أجيال من اليابانيات : الجدة ، والام ، والحفيـدة !..

والى ان يبدى العلماء رأيهم فى هذا الصـــدد ، اضع أمام اعتبـارهم الحقائق الآتية ، التى خرجت بها من ملاحظـاتى الخاصة ومن مناقشاتى مع من تحدثت اليهم فى هذا الموضوع من قادة الرأى والفكر فى اليابان :

١ ــ ان جرائم الشباب وانحرافاتهم تكاد تكون منعدمة فى اليابان ! .. واندر منها تداول الصور والكتب الجنسية المثيرة التى تكثر عادة حيث يوجد الكبت والحرمان والقيود فى مجال الامور الجنسية .

٢ ــ اننى لم أر شابا يابانيا « يعاكس » فتـاة أو امرأة من المحصنات ، فى شارع أو ترام ، أو يعمد الى نظرة ، أو حركة ، أو تصرف ، أو اشارة ، فيها بذاءة تخدش الحياء !

٣ ــ ان نسبة من يقبلن على التعليم الجامعى من الفتيـات ضئيلة الى حـد ملحوظ ، فهى اقل منهـا فى مصر بكثير ، اذ لاتتجاوز هذه النسـبة خمسة فى المائة من مجموع عدد طلبة الجامعات .. **ومعنى هذا أن المرأة اليابانيةأشد رجعية ومحافظة من المرأة المصرية مثـلا فى هذا المجـال ، واكثر منها تمسـكا برسالتها كربة بيت وزوجة تكرس حياتها وطاقتها كلها للعناية ببيتها وزوجها واطفالها** ،وتربية جيل سليم الجسم من الامراض، سليم النفس من العقد والمركبات

٤ ــ ان اخلاد المرأة لحياة البيت والعائلة ، دليل على عـدم احتياج البلد لها كيد عاملة اضافية تساهم فى الانتـاج ، الى جانب الرجل .. **وبالتالى ان طاقة الرجل الانتاجية فى اليابان تفوق طاقة الرجل فى الدول الاخرى المساوية لها فى مستوى الانتاج** ــ وهذا التفوق « يتضاعف » بالمقـارنة الى الدول « المتخلفة » فى الميدان الانتاجى بطبيعة الحال

٥ ــ ان هذا التفوق الهائل فى الانتاج ، دليل حاسم على

ارتفاع المستوى الصحى ، والنفسى ، والذهنى ، للرجل اليابانى .. وبالتالى على حسن تبصر الزوجة اليابانية ، والأم اليابانية ، ومبلغ تفانيهما فى رعاية الزوج أو الابن ، وتهيئة الجو البيتى والعائلى الذى يساعده على زيادة الانتاج

٦ - ودليل آخر على سلامة كيان الاسرة اليابانية ، انخفاض نسبة الطلاق بين الازواج الى درجة غير عادية . (وسيأتى مجال الاحصاءات والتفصيلات الخاصة بهذا الشأن فى موضعها ، فيما بعد)

٧ - وحقيقة اخرى تدل على ارتفـــاع المستوى الصحى والنفسى للشباب اليابانى - علاوة على وفرة الانتـــاج - هى ارتفاع نسبة النجاح فى الامتحانات ، كما يستفاد هذا الارتفاع من المقارنة بين عدد طلبة الجامعات وعدد خريجيها فى كل عام (وعندى فى هذا الباب احصاءات وبيانات سأوردها بالتفصيل حين نزور اليابان معا زيارة مفصلة ، بعد عودتنا من الصين !)

اقول : حين نزور اليابان ، لأن كلامى عن اليابان حتى الآن لم يكن سوى استطراد عارض ساقنى اليه الحديث عن اللهو المقترن بالانحلال فى (هونج كونج) ، والمقارنة بينه وبين اللهو المقترن بالانتاج فى (طوكيو) .. فهل نخرج من هذه المقارنة بأن اباحة اللهو على مصراعيه ، دون قيود ، ليست فى ذاتها عاملا من عوامل الانحلال ، **وانما العامل الاول والاكبر للانحلال فى هونج كونج هو الاستعمار** .. كما كان العامل الاول والاكبر للانحلال فى الصين « القديمة » هو الاستعمار ايضا ، وفساد الحكم ؟

مرة اخرى ، لا أحب ان أنفرد بالرأى وباصدار « الاحكام » القاطعة فى هذا الموضوع ، فلست ازعم اننى خبير أو « اخصائى » اجتماعى أو نفسانى .. **وانما انا كاتب واديب ، عاهد نفسه ان يكتب ما رآه وسمعه على حقيقته ، ويسجل شتى الانطباعات التى تتركها فى نفسه مشاهداته فى كل بلد يزوره ، دون زيف ،**

ولا نفاق ، ولا مجاملة ، ولا مواربة ، تاركا للاخصائيين فى كل باب من ابواب البحث ان يخطئوا الاستنتاج الذى يرونه خاطئا، ويؤيدوا الاستقراء الذى يرونه صائبا ، حسبما تنتهى اليه ابحاثهم .. فرائدى ورائدهم واحد ، هو خدمة الوطن العربى : أخدمه أنا بما أنشره عليه من حقائق رأيتها بعينى وسمعتها بأذنى، ويخدمونه هم بالاستعانة بهذه « المادة الخام » التى اقدمها لهم على استكمال ابحاثهم والانتهاء منها الى اصدار الاحكام وتقرير النتائج ! .. والمشكلة فى رأيى من الخطورة والاهمية للشرق العربى ، المتحفز الى النهوض السريع واللحاق بركب التقدم العالمى ، **أقول انها من الاهمية والخطورة بحيث تستدعى ان ينشأ لها فى مصر – وفى كل بلد شرقى متخلف – « مجلس أعلى للتوجيه الاجتماعى » ،يضع سياسة « مدروسة » متعمقة لمدى الحرية الفردية التى تلائم كل شعب وتكفل النهوض به .. بحيث تعطى لهذا المجلس سلطة اعادة النظر فى جميع الاوضاع السارية والقيود المفروضة فى هذا المجال منذ القرن الماضى ، وفى عهود الاستعمار ،فيعدلها – سواء بالتخفيف،أو الزيادة،أو التطوير –** وفقا لما تنتهى اليه دراساته ، وبحوثه واستقراءاته ، على ضوء العلم والنظريات الحديثة من جهة ، ومن الجهة الأخرى على ضوء تجارب الحاضر والماضى ،القريب والبعيد – بل وامثلة التاريخ ، القديم والحديث ! – وبما يتفق وطبيعة الشعب ، وظروفه ، وبيئته ، ونفسيته .. وما يحقق له مستقبلا أفضل، يقوم على الاستقرار الاجتماعى ،والرخاء الاقتصادى ،والنهوض الصناعى .. الخ

اخشى ان يكون الاستطراد قد طال ، اكثر مما قدرت ، فتعال نعود من تحليقتنا المؤقتة فوق اليابان ، الى حيث كنا على وشك عبور الحدود من هونج كونج الى الصين الشعبية .. لكن ذكر التحليق فوق اليابان يذكرنى بخاطرين آخرين – وكأن الانطباعات تأبى الا ان تلاحقنا فى كل خطوة ! – فقد حدث

أثناء عودتى من طوكيو الى القاهرة ، فى نهاية الرحلة ، ان كان بين ركاب الطائرة رجل يابانى ، فى نحو الاربعين ، لم ألق اليه بالا فى اول الأمر ، حتى افقت من نومى فى ساعة متأخرة من الليل ، على صوت خافت ، غير عادى ، فاذا صاحبنا قد نهض من مقعده ، ثملا ، مخمورا ، فسار فى ممر الطائرة خطوات ، يتعثر ، ويتخبط ، ويأتى بحركات لاتصدر الا من شخص فاقد الادراك ! .. ثم يسـقط فوق أحـد الركاب ، وأخيرا يرتطم بالأرض ، بلا حراك ! ـ ويبدو انه كان قد افرط فى الشراب ، من زجاجة كان يحتفظ بها فى جيب معطفه .

ودب فى تلك « الكابينة » من الطائرة شىء من الهرج المكتوم، والهمسات ، والنظرات المتبادلة بين من استيقظوا من الركاب ، دون ازعاج لمن ظلوا نائمين .. وأقبلت مضيفتا الطائرة ، على حذر ، فراحت كلاهما تحاول ايقـاظ المخمور ، بالرفق ، والحسنى ، ولكن دون جدوى ، فأستنجدتا برجل من هيئة الطائرة ، تعاون معهما على جر صاحبنا الى دورة المياه ، لعلهم يفلحون فى رده الى وعيه بسكب بعض الماء على وجهه .. لكنه لم يلبث ان « تكوم » وراء باب التواليت من الداخل ، فحال بجسمه بينهم وبين الدخول .. وحين تمكنوا من « اقتحام » الباب بعد لأى ، وجدوه ملقى على ارض الحمام ، فى نصف ثيابه ، وقد استغرق فى غيبوبته ، ناعم البال ! .. ولم يجدوا مفرا من تركه هكذا ، حتى تهدأ خواطر بعض الركاب الذين كانوا قد تركوا مقاعدهم الى أماكن اخرى بعيدة ، خشية أن يصيبهم منه سوء ! .. وفى الصباح ، واصلت هيئة الطائرة مهمتها الثقيلة حتى افاق الرجل وارتدى بقية ثيابه ، ثم عاد الى مقعده مطأطىء الرأس ـ خجلا ـ منكس العينين ! .. وكم كانت دهشتى حين تطوع احد الركاب بالكشف عن شخصية صاحبنا ، فاذا به من أشهر مهندسى اليابان ، وواضع تصميم مطار طوكيو العالمى الرائع !

وحانت منى ـ دون قصد ـ نظرة الى ظهر المقعد الذى امامى ، وكانت تطل منه نشرة شركة الطيران الهندية الدولية « اير انديا » التى كنا نستقل احدى طائراتها الضخمة ، **فتذكرت للحال مفارقة صارخة : تحريم تناول الخمر فى مدينة (بومباى) بالهند ! .. وكان الانتقال مفاجئا ، عنيفا !**

وثمة انتقال آخر مفاجىء ، ومفارقة اخرى صارخة ، شعرت بها فى نفس الطائرة ، بعد ان استرحنا فى مطار (هونج كونج) ساعة ثم واصلنا السفر فى طريقنا الى (بانجكوك) و (بومباى) ثم القاهرة : ففى هونج كونج غيرت الشركة « طاقم » مضيفات الطائرة ، فاستبدلت اليابانيات اللواتى خدمن الركاب خلال المسافة من طوكيو الى هونج كونج ، بمضيفات أخريات ، «هنديات» .. فلما ركبنا الطائرة بعد فترة الاستراحة القصيرة ، **شعرت كأننى انتقلت من اليابان الى الهند، فى لحظة ! .. وكان انتقالا آخر سريعا ، مفاجئا ،عنيفا!.. فرغم ان الطائرة كانت هى نفس الطائرة ، والركاب هم نفس الركاب ، فقد تغير « الجو » كله ، بتغير المضيفات ! ..** ذهب المرح ، والخفة ، والضحكات المنطلقة من قلب خلى .. وجاء الوقار الهادىء الرزين ، الصارم ، الذى لايبتسم الا نصف ابتسامة ، وبحساب !

ذهبت العيون الضيقة ، المشقوقة ، الضاحكة .. وجاءت العيون السوداء ، العميقة ، الساحرة !

ذهبت المضيفة التى تمازح «طوب الأرض» وتغمز لجدران الطائرة ، وتسأل الركاب ان كانوا قد استمتعوا باقامتهم فى طوكيو ؟ .. وجاءت المضيفة الجادة ، الوقورة ، التى يستأذنها احد الركاب فى ان يلتقط لها صورة وهى تقدم له الطعام ، فتقول له : ممنوع !

وكان انتقالا مفاجئا كما ذكرت ، ومفارقة صارخة ، بين بلدين .. وشعبين .. وعقليتين .. وتاريخين .. وبيئتين ..

ونوعين من التقاليد ، والعادات ، والسمات ، التى تكونت ورسخت خلال قرون وقرون !

تعال معى .. الى الصين الشعبية !

• **نحن** الآن فى (هونج كونج) ، نتأهب لمغادرتها الى الصين الشعبية ، بعد ان قضينا فى المستعمرة العجيبة يوما وبعض يوم ، ألممنا خلاله بما قدمت لك من معالمها وأحوال شعبها

فاذا كان اليوم التالى - ٢٦ اكتوبر - وقد انقضت على قيامنا من القاهرة خمسة ايام حافلة بالتنقل المستمر ، بين بومباى ، ودلهى ، وأجرا ، وكلكتا ، وبانجكوك ، وهونج كونج .. (ثم ساقنا الاستطراد الى المقارنة بين الاخيرة وبين طوكيو من الناحية الاجتماعية والاخلاقية) .. فتعال نغادر الجزيرة بالناقلة المائية الى (كاولون) ، فلا نكاد نهبط الى البر حتى نجد فى مواجهتنا محطة سكة حديد (كاولون - كانتون) التى تربط بين المستعمرة وبين .. الصين !

الساعة الآن الثانية بعد الظهر ، وقد أخذنا أماكننا فى القطار الذى يوشك ان يتحرك . انه قطار ليس فيه ما يلفت النظر ، (وقد قيل لنا ان القطار الفاخر هو الذى يغادر المدينة فى الصباح الباكر) .. لابأس ، فسوف يتاح لنا ان نقارن بين الاثنين عند عودتنا من الصين باذن الله . وينطلق القطار بين مناظر رائعة على الجانبين ، تذكرنى بمناظر ايطاليا والنمسا الى حد كبير .. تذكرنى بها من حيث الطبيعة وجمالها ، **اما من حيث مستوى المعيشة ونظافة الشعب ، فالبون شاسع ، فنحن نرى هنا - كلما مر القطار بقرية من القرى - صورا تنطق بالفقر ، والعرى ، والحفاء ، وشتى مآثر الاستعمار على المستعمرة !..**

فنحن نعبر الآن « الاراضى الجديدة » التى تمتد بين كاولون وحدود الصين الشعبية . ويقف القطار بعد قليل فى محطة (پومانتى) ، فتقع العين على مفارقة ظاهرة : عجوز حيزبون فى



أسرة صينية أمام كوخها فى (الاراضى الجديدة) ، التى استأجرتها بريطانيا عام ١٨٩٨ لمدة ٩٩ سنة ٠ وترى الابنة وقد حملت شقيقها الرضيع على ظهرها حسب العادة الصينية المألوفة

ارذل العمر ، تمد يدها عبر نافذة القطار باناء صغير ، تستجدى فيه احسانا .. ووراء ظهرها ، خلف رصيف المحطة ، عمارات حديثة فاخرة ، وسيارات « اتوبيس » ذات طابقين ، وشوارع فسيحة جميلة .. ثم يتحرك القطار ، وينطلق ، **ولا يلبث ان يظلم الكون كله فجأة ، كانما قد سقطت خلف نوافذ القطار ستائر سوداء ! لقد دخل القطار فى قلب الجبل ، فى نفق طويل لا تبدو له نهاية ..** ونتطلع الى ساعاتنا ، ونحصى الثوانى .. فالدقائق .. حتى تنقضى ثلاث دقائق كاملة قبل ان يمرق الثعبان المجنون الى النور مرة اخرى ، والى الشمس الساطعة. **حقا ، ما أقسى الظلام ! .. ليت كل من يبخل بماله على مكفوفى البصر ، فى اسبوع النور والأمل ، يعيش تلك الدقائق الثلاث ، ويجرب العمى المؤقت ، ليرحم !**

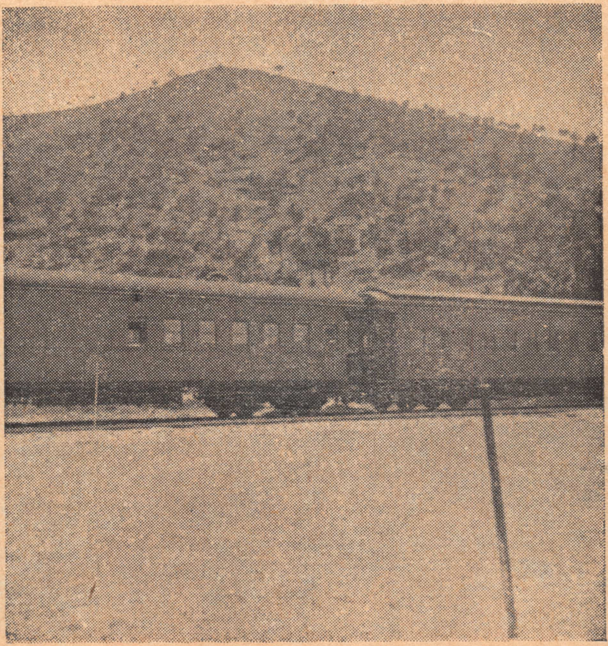


الصين بالأمس !



والصين اليوم !

ويقف القطار مرة ثانية بمحطة (شاتين) ، حيث تحف بالرصيف سوق كبيرة ، وحوانيت ، وسيارات ، وحركة ، وضجيج .. ثم ينطلق القطار الى الخلاء ، مارا ببحيرات خلابة، وجبال ، وخضرة ساحرة .. ثم وقفة قصيرة فى محطة (تايبو) ، فمحطة (فانلنج) ، وفى نهاية الواحد والعشرين ميلا التى اقتطعتها بريطانيا من الصين عنوة واقتدارا ـ تحت



فى هذه البقعة المسماة «شن تشون» تترك القطار الانجليزى التابع لمستعمرة هونج كونج ، لتركب هذا القطار الصينى الذى يقلك الى الصين الشعبية

اسم الايجار الاسمى – يصل القطار الى غايته ، فنهبط منه لنعبر خط الحدود الفاصل بين الدولتين ، والنظامين ، والذى يخفره نفر من الجنود الانجليز ، ومرؤوسون لهم من جنود الحدود الصينيين يرتدون زى الانجليز .. وعلى جانبى خط الحدود المذكور **محطتان متقابلتان ، احداهما محطة (لوو) ، والاخرى محطة (شن تشون) ، هذه ينتهى عندها القطار البريطانى، وتلك يبدأ منها القطار الصينى** . وبين المحطتين نقطة جمرك الحدود ، حيث يفتش شرطة المستعمرة اهاليها العائدين من زيارة ذويهم القاطنين فى الجانب الآخر ..

ولا نكاد نعبر الحدود ، فى دقائق ، حتى نجد فى انتظارنا وفدا من مندوبى حكومة الصين الشعبية ، وفى رفقته فتاة **ترتدى بنطلونا بسيطا لاأناقة فيه ، كبنطلونات الرجال ، تعلوه سترة**



هذا هو الزى البسيط الذى ترتديه أكثر فتيات الصين ، وترى فى الصورة معلمة فى مدرسة للتطريز تشرح الدرس لتلميذاتها .



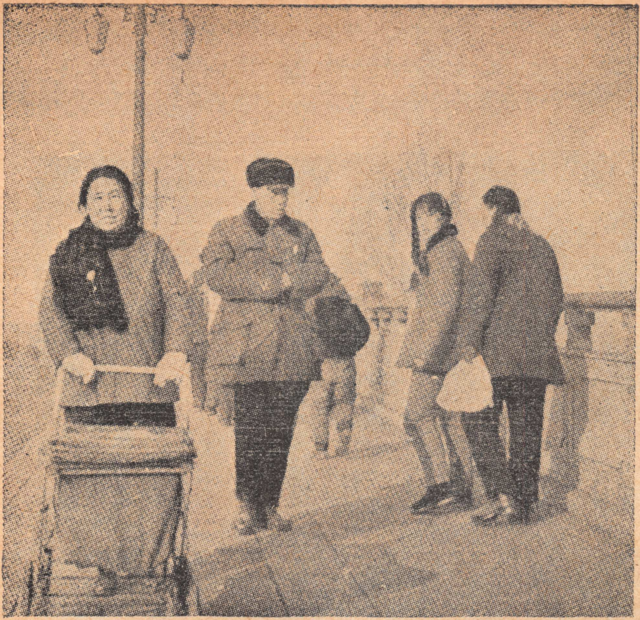
اربع من فتيات جامعة (بكين) يمرحن ويضحكن فى
الطريق ، وقد ارتدين الزى الموحد للشعب

من ((التريكو)) ، وعلى عينيها ((نظارة)) ، وقد خلا وجهها من اى أثر لزينة أو مساحيق ! .. وترحب بنا ((مس تشين)) فى انجليزية سليمة ، نيابة عن بقية الوفد الصينى الذى تقوم هي فيه بمهمة المترجمة .. ثم تقودنا ومرافقوها الى استراحة

المحطة ، التى انتشرت فيها المقاعد والمناضد ذات الطابع الصينى العريق ، فهى مصنوعة من خشب الابنوس الأسود الجميل ، المصقول كالمرايا ، وفى وسط كل مقعد ومنضدة دائرة من



الثياب بسيطة ، لكن العقول متفتحة : امرأتان تقلبان بعض الكتب فى مكتبة كبرى بالعاصمة الصينية



« الجدة » تنزه الطفل فوق احدى قناطر « بكين » ، لانصراف الأم الى عملها فى المصانع .والصورة تعطيك فكرة عن الزى العام لنساءالصين

الرخام الابيض المموج . ويقدم لنا الشاى الأخضر الفاتح ـ حتى ليكاد يكون لا لون له ! ـ وعند أول رشفة منه أحس بالنفور وخيبة الأمل ،انهماء ساخن لاطعمله، بغير سكر!..ومنذ تلك اللحظة حتى ساعة مغادرتنا لأرض الصين بعد نحو شهر كامل ، لم نذق طعم الماء القراح ! كنا حين نطلب ماء باردا يؤتى لنا بزجاجة من المياه الغازية المصنوعة من عصير الليمون أو البرتقال .. وحين نطلب شرابا ساخنا يؤتى لنا بالشاى الاحمر، المحلى بالسكر ، الذى يعدونه خصيصا للأجانب .. **اما اهل**

الصين فلا يشربون ماء باردا ولا شايا احمر ، وانما يشربون فى الحالين شايهم الأخضر المفضل .. يشربونه فى كل مكان وكل مناسبة : فى البيت والمكتب والمصنع والقطار .. فى الصباح والضحى والظهر والعصر والمساء والليل ، وكلما ادركهم الظمأ !



زوجة الأديب الصينى « هو شيبيه شينج » ، تخرجت فى الجامعة عام ١٩٣١ واشتغلت مدرسة ، وترى فى بيتها تنظف تحفها ، وقد ارتدت زيا أنيقا يندر أن تراه فى الصين

ـ وقد تكون تأصلت فيهم هذه العادة منذ كانت انهارهم موطنا للأوبئة ، من كوليرا وحمى صفراء ! ـ فأينما ذهبت فى الصين، تجد « صينية » عليها اقداح الشاى ذات الغطاء ، (فهى قدح وابريق فى الوقت ذاته ، يوضع فيها ورق الشاى الاخضر ثم يصب فوقه الماء المغلى ويغطى القدح بغطائه الخاص بضع دقائق ، حتى يرسب اكثر الورق فى القاع ، وعندئذ ترفع الغطاء وترشف) .. أقول ، أينما ذهبت فى الصين تجد اقداح الشاى المغطاة ،وبجوارها قراطيس الشاى المغلقة ، و «زمزمية» ضخمة مكسوة بالقش ، بها ماء مغلى لا ينضب معينه ، يظل دائما معدا فى انتظار اى قادم .. ترى هذا المنظر فى القطار ،وفى المدرسة ، وفى مكتب الوزير ، وفى دور الصحف ، وفى معهد التمثيل ، وفى حجرة مدير السجن ، أو المصنع ، وفى غرفتك بالفندق .. الخ

ولنعد الى حيث كنا فى استراحة المحطة على اثر تخطينا الحدود من (هونج كونج) .. ولأعترف لك ، فى صراحة ، أن المفارقة كانت شديدة بين المنطقتين ! .. حتى ثياب جنود الحدود كان البون فيها شاسعا بين الترف الذى تنطق به سترة جنود المستعمرة ، والبساطة التامة التى هى طابع سترة جنود الجمهورية الشعبية . واذا كنت قد اخذت بهذا الفارق لأول وهلة ، فى الذهاب ، (ثم لم ألبث أن ألفته بمضى الوقت)، فقد عاودتنى المفارقة بصورة أوضح ، وأكثر طرافة ،فى الاياب، وكان للمصادفة دخل كبير فيها : ذلك اننا لم نكد نهبط من القطار الصينى لنستقل القطار البريطانى ، فى عودتنا ، حتى وجدنا انفسنا فى عربة فاخرة تكاد تكون خارجة لتوها من المصنع ،تلمع على جدرانها طبقة من « الفورمايكا » الجميلة ، وتزينها المقابض « الألومنيوم » أو المعدنية المطلية بالكروم **(وسوف ترى بعد حين ان فى الصين الشعبية قطارات افخر من هذه ، وعربات**

نوم لم ار لها مثيلا فى قطارات زيوريخ وفينا ، كعربات القطار الذى أقلنا من (بكين) الى مناطق الصناعات الثقيلة بالشمال الشرقى ، وبالعكس ، لكنى اردت أن أصف لك صورة صادقة للمفارقة كما تتابعت مظاهرها ، بمحض المصادفة !) .. ولم اكد انقل بصرى من تأمل فخامة عربة القطار ، حتى أقبل فى ممر العربة « جرسون » يصرخ بأعلى صوته : « كوكاكولا ، ويسكى ، تشيكليتس » ! .. (ورغم ان فى الصين خمورا أقوى من الويسكى ، وتقرب من الفودكا الروسية التى تلهب الحلق ، كما ان فيها نبيذا وبيرة ، وسواها ، **فاننا كنا قد غادرنا منذ لحظات قطارا يقدم فيه الشاى الأخضر ، ويرن فى عرباته بدلا من صوت الساقى الهمام بائع الويسكى ، صوت مغنية اوبرا صينية رقيقة تذاع اسطوانة لها من ميكروفون معلق فى جميع العربات !)**

.. وعنصر آخر من عناصر المفارقة ، لعبت المصادفة فيه دورها : كان الى جوارى فى مقصورة القطار تاجر هندى من تجار هونج كونج ، عائد من (كانتون) حيث ابتاع لمتجره كمية من منتجات الترف الصينية التى يصدر اكثرها للاستهلاك فى خارج الصين ، (ومنها الحرير الصينى الفاخر ، والتحف الثمينة المصنوعة من العاج واحجار « اليشب » النفيسة (Jade) والخزف المطعم بالنحاس .. الخ) . وكان مع التاجر أطفاله وبناته الصغار ، الذين غالى فى «زركشتهم» ـ على طريقة اغنياء الحرب ـ بالثياب الفاخرة الملونة المطرزة ! ـ **وتذكرت فى الحال بساطة ثياب الملايين من اطفال الصين الباسمين ، ذوى الوجوه السمحة ، والقلوب السمحة !**

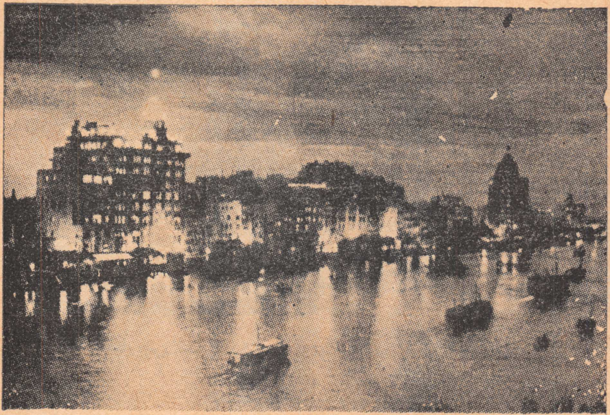
.. ولنعد الى حيث كنا نرشف الشاى الأخضر فى استراحة محطة الحدود ، فى صحبة وفد الاستقبال الصينى والمترجمة التى ترافقه .. ولنمض معهم الى القطار الذى سوف يقلنا



سماحة أهل الصين تبدو بأجلى مظهر فى وجوه أطفالهم ، كما ترى فى صورة هؤلاء الاطفال الضاحكين الذين تركتهم أمهاتهم فى دار الحضانة وانطلقن الى أعمالهن

الى أولى مدن الصين التى جئنا لنزورها : **(كانتون) العريقة ، ذات التاريخ المجيد والماضى المشرف فى محاربة الاستعمار .. كانتون التى هدمتها مدافع الاسطول البريطانى فى عام ١٨٤١ ، كى تنشر فى انحاء الصين سموم الأفيون !**

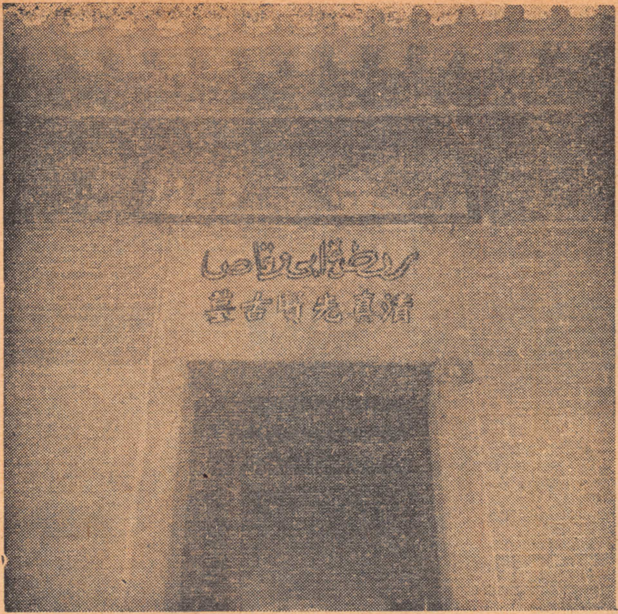
كانتون التى تتكىء على ضفة « نهر اللؤلؤ » المشهور (Pearl River) ، أطول انهار الجنوب ، بسكانها البالغ عددهم مليونا وسبعمائة الف نسمة !



منظر ليلى لمدينة (كانتون) ، التى تتلألأ على ضفة « نهر اللؤلؤ » !

كانتون ، منفذ الصين الجنوبى للتجارة الخارجية والصلات الثقافية منذ اقدم العصور ، منذ كانت صلة الوصل بين الصين وبين العرب والفرس ، فى القرنين السابع والثامن !

كانتون التى هاجر اليها المسلمون منذ فجر الاسلام ، وبنوا فيها مسجد « هواى شنج » الذى يعتبر من اقدم المساجد الاسلامية ، اذ يرجع تاريخ انشائه الى ما قبل ١٣٣٠ عاما !

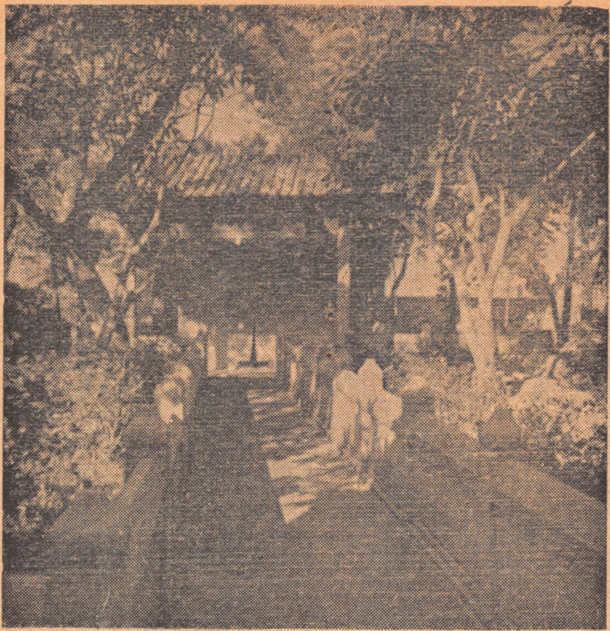


الباب الخارجى لـ « روضة ابى وقاص » فى (كانتون) ، مقبرة أول مسلم دخل الصين

كانتون ، اكبر مدن الصين الجنوبية ، والقلب النابض لها ـ سياسيا ، واقتصاديا ، وثقافيا ـ طوال اكثر من ألفى عام !

كانتون التى عاش فيها زعماء الصين الحديثة ـ سن يات سن ، وماوتسى تونج ، وشو اين لاى ـ فترات حاسمة من حياتهم ، ومن تاريخ الصين !

كانتون مركز المؤسسات العلمية والثقافية الكبرى ، وفى مقدمتها جامعة الدكتور « سن يات سن » المقامة على مساحة قدرها اربعمائة فدان ! .. ومركز فنون الخزف ، والحفر على



منظر داخلى لحديقة « روضة ابى وقاص » ، وتضم – الى يمين الممر ويساره – مقابر عدد من أوائل المسلمين الذين استوطنوا فى (كانتون)

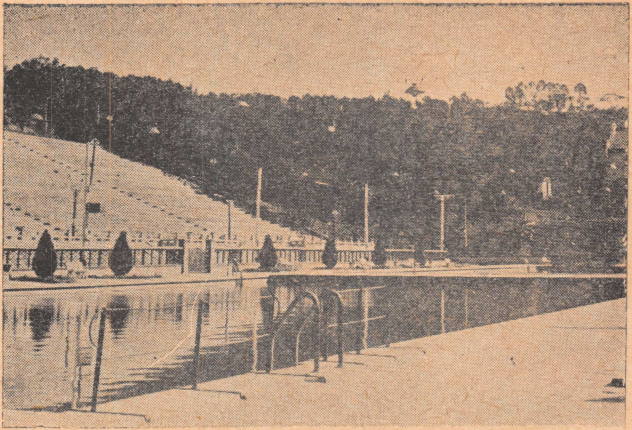
العاج ، وغيرها من الصناعات اليدوية الصينية ذات الشهرة العريقة

كانتون التى انشىء فيها خلال التسعة اعوام الماضية من المبانى الجديدة ما يوازى سبع مساحتها الاجمالية ، واقيم فيها من المصانع مايجعلها اليوم من اكبر مدن الصين الصناعية والانتاجية .. وما يزال يبنى فيها كل يوم مزيد من المدارس ،

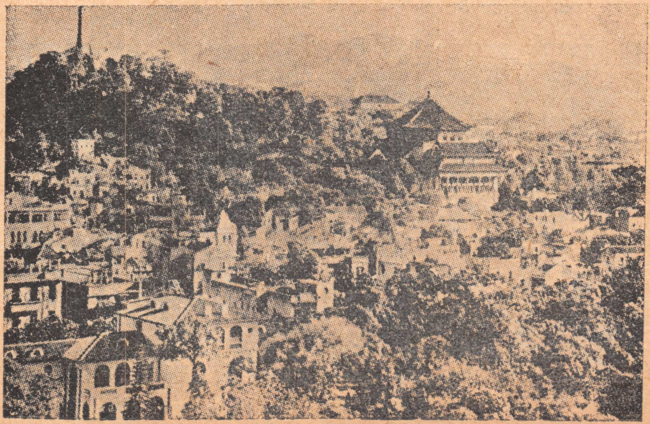


أعضاء الوفد الثقافى المصرى مع عدد من مندوبى وزارة الثقافة الصينية ، أثناء زيارة جامعة (كانتون) الضخمة .. ويرى فى أقصى اليسار الطالب المصرى « بسام » الذى يدرس الزراعة فى كانتون

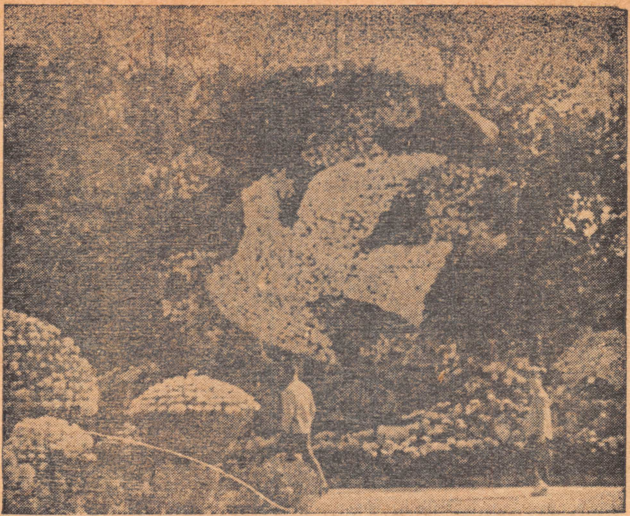
والمصانع ، والمستشفيات ، واحياء السكنى ، والطرق ، والحدائق ، والمراكز الرياضية والترفيهية العامة ، ومنها الملعب الرياضى المدرج الذى يتسع لخمسين الف متفرج !



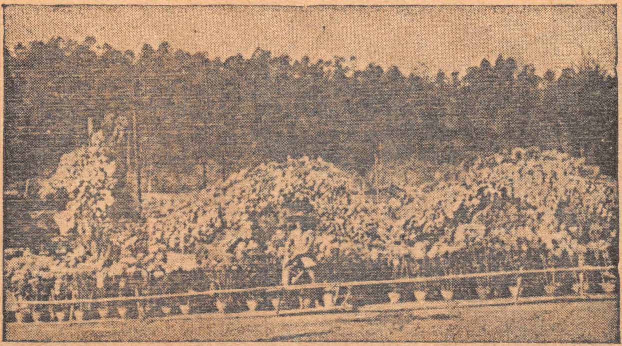
حوض سباحة فاخر ـ ((بيسين)) ـ فى مدينة كانتون ، يطل عليه مدرج ضخم للمتفرجين على مباريات السباحة .



منظر عام لمدينة (كانتون) العريقة كما تبدو نهارا



فى احدى حدائق (كانتون) العامة رسم الصينيون ـ بالزهور ! ـ هذه الدائرة الضخمة التى تتوسطها حمامة السلام ، وهم يسقون هذه الزهور ويتعهدونها وهى فى هذا الوضع الرأسى



لم ار شيئا لشغف الصينيين بالزهور ، وهذه صورة « تنين » ضخم أقاموه فى احدى حدائق (كانتون) ، وكله مرسوم بالزهور !



كيف يعلمون اطفالهم حب الزهور !

كانتون التى بلغ الوعى الفنى بأهلها حدا جعلهم ينشئون فيها اربعة عشر مسرحا للفن الكلاسيكى ، تزدحم كل ليلة بالنظارة ، الى جانب مسرح عصرى واحد !

وقبل ان ندخل اولى مدن الصين ، ونطوف بمعالمها ، هى وسواها من المدن ، أحسبك متشوقا الى معرفة الجواب عن كثير من الأسئلة العامة التى تشغل فكرك ، وتتسابق من ذهنك الى لسانك ، منذ بدأت تصحبنى فى الرحلة على متن



فى بحيرة صناعية جميلة فى ضواحى (كانتون) ، خرجت هذه الباقة من الشباب تتنزه فى زورق . وهم لا يرتدون الزى الصينى العام لانهم يعيشون فى خرج الصين ، وقد جاءوا الى كانتون فى زيارة

هذا الكتاب .. انك تود أن تسألنى :

كيف وجدت الصين الشعبية ؟

ما الذى اعجبك فيها ، **وما** الذى لم يعجبك ؟

وما مدى رقيها .. أو تأخرها ؟

وماذا رأيت فى مدنها وقراها ؟

وكيف يعيش أهلها ؟



الشباب من الجنسين يمرحون على شاطىء بحيرة !

ماذا يلبسون ، ويأكلون ، ويشربون ؟

وما تأثير الشيوعية عليهم : **ما** احوالهم الاجتماعية ، وحرياتهم

الشخصية ، ومستواهم الاقتصادى .. والثقافى .. والفنى .. والعلمى ؟

وهل عندهم حقا نهضة صناعية .. والى اى حد ؟ ماذا ينتجون وماذا يستوردون ؟

وكيف وجدت اخلاقهم ، وعاداتهم ، وديانتهم ، وحياتهم العائلية ، ومعاملاتهم المالية والتجارية .. ؟

و.. و.. ومائة سؤال وسؤال !

وقبل ان احاول اجابتك على كل هذه الاسئلة ، بقدر الطاقة، أحب ان اوضح لك هنا حقيقة هامة : هى اننى حين اتعرض لكل هذه الموضوعات ، **لا اتعرض لها من وجهة نظر سياسية ، تناصر هذا المبدأ أو ذاك ، أو تتحيز لنظام ضد نظام ، فأنا رجل لا أشتغل بالسياسة ، وانما أشتغل بالأدب ، والفن ، والثقافة، والكتابة .. وعلى ضوء هذا الاعتبار ــ واكرر مرة اخرى ــ عاهدت نفسى ان انقل اليك ما أرى وأسمع فى كل بلد أزوره ، دون زيف ، ولا التواء ، ولا مجاملة ، أو تحامل ! ..** حسبى ان اسجل لك الحقائق كما شاهدتها بعينى ، وسمعتها بأذنى ، ولك ان تفسرها كيفما شئت !

والتزاما بهذا المبدأ ، وعملا بمقتضاه ، سأذكر لك هنا ــ بصراحة كاملة ــ **ما اعجبنى فى الصين الشعبية .. وما لم يعجبنى !**

ما لها .. وما عليها !

وفى سبيل النهوض برسالتى نحوك ، وتأدية الأمانة التى فى ذمتى لك .. ليس يعنينى أن يغضب هذا الفريق أو ذاك !

* * *

• أول ما اعجبنى فى الصين الشعبية : شعبها !

الشعب الطيب الى درجة السذاجة .. المسالم الى درجة الخرافة .. الأمين الى درجة القداسة .. النظيف الى درجة



جيل يذهب ..



.. وجيل يجىء !

« الوسوسة » .. المؤدب الى درجة تضرب بها فى قواميس اللغة الامثال .. الباسم ابدا وفى كل الظروف ، الى درجة تكاد تثير الاعصاب !

لم أر فى الصين طوال الشهر الذى قضيته فيها ، مشاجرة واحدة .. ولا حتى مشادة كلامية ، أو مساجلة حامية !

.. وقيل لى انه حيثما اختلف اثنان من الصينيين ، فانهما يظلان يتجادلان ويتعاتبان فى هدوء ، حتى يقنع احدهما الآخر ، أو يوسط لحل النزاع شخصا محايدا يثق فيه الطرفان ! .. أما الضرب والبذاءة ، والاسراع الى قسم البوليس ، والتهديد والوعيد ، والاتهام والدفاع ، فتلك خصال لا وجود لها عند أهل الصين !

وأما الأمانة ، فقصتها أعجب : حدثنى المصور الفنان « حلمى الجلاد » — الملحق بسفارة مصر فى بكين — انه يقطن فى مسكن لا قفل لبابه ولا مفتاح ، يدخله كل من يدفع بابه اذا شاء !

وقد انقضى عليه عام كامل على هذا المنوال ، توجس فى بدايته خوفا من النتائج ، حتى قيل له ان الكثير من مساكن بكين من هذا الطراز ، فهدأت مخاوفه بعض الشىء ، وأسلم أمره الى الله .. ورغم ان له جيرانا كثيرين ، يقفون على مواعيد دخوله وخروجه ، هو والسيدة زوجته ، فان « قشة » من متاعهما أو مالهما لم تسرق أو تمس !

وقصة أخرى اغرب واكثر طرافة ، رواها لى رجل هندى من رجال الأعمال فى (هونج كونج)هو السيد «رامشاندانى» ، وتتلخص فى ان جماعة من اصدقائه الهنود كانوا يستقلون قطارا فى احدى مناطق الصين ، فشربوا محتويات عدد من زجاجات البيرة، وعند مغادرتهم القطار فى المحطة التى يقصدونها، تركوا الزجاجات الفارغة فى العربة ومضوا .. **فلما مر ملاحظ القطار بعد حين ، هاله ان «ينسى» الركاب زجاجاتهم الفارغة ، فراح يسأل ويستقصى حتى استطاع الاهتداء الى عنوانهم فى البلدة التى نزلوا فيها ،وأرسل اليهم «الأمانة» فى عقر دارهم !**

ويعلل الراوى هذه الأمانة الخارقة للمألوف بأنها قد تغلغلت فى دمهم بمضى الزمن، نتيجة لسياسة معينة كان الحكام القدامى يتبعونها مع اللصوص : كان يضبط لص وهو يسرق تفاحة مثلا ، فيوبخه القاضى وينذره بالعقاب اذا عاد الى السرقة مرة أخرى .. فاذا فعل ، امعن القاضى فى زجره وتهديده ، واكد له انه لن يصفح عنه بعد هذه المرة ، وانما سينزل به العقوبة المحتومة ! .. **فاذا ركب اللص رأسه وارتكب سرقة ثالثة ، حكم عليه القاضى بالاعدام ونفذت فيه العقوبة علنا فى احد الميادين العامة ، ليكون عبرة لغيره !**

وخصلة اخرى اعجبتنى فى أهل الصين ، تتصل بالأمانة ، أو النزاهة ،باكثر من سبب ونسب .. خصلة يكادون ينفردون بها دون شعوب العالم اجمع ، وترفعهم فوق مصاف جميع الشعوب ! .. خصلة هى فى نظرى حجر الزاوية او الأساس

لتقدم اى بلد أو تأخره ، ونهوضه أو انحلاله .. خصلة قد تبدو للوهلة الاولى ثانوية ، تافهة ، لكنك لو تدبرت نتائجها، خطوة فخطوة ، لقادتك الى اخطر النتائج والمضاعفات ، التى تنخر كيان الدولة كالسوس !

أنها الخصلة التى نفتقدها نحن فى مصر ، بصورة بشعة تدعو الى الأسى ، والتى لاتستطيع حكومة فى العالم ان تخلقها أو تزرعها فى نفوس أفراد شعب من الشعوب ، مالم يتعاون الشعب كله على المناداة بها ، وفرض احترامها و « قدسيتها » على الجميع ، كما أشار الرئيس جمال عبد الناصر ، بحق ، فى احدى خطبه الأخيرة

هل عرفتها ؟

انها قيام كل فرد فى الدولة بواجبه ، على الوجه الأكمل ،دون انتظار لرشوة ، ايا كانت صورتها أو قناعها التنكرى ، (سواء سميتها رشوة ، أو « بقشيشا » ، أو « اكرامية » ، أو مكافأة مشروطة ، صريحة أو مستترة .. الى آخر أقنعة الرشوة التى لاتقع تحت حصر !)

نعم ، هذه فى نظرى هى الخصلة الاولى التى ينتزع بها شعب الصين احترام كل زائر لبلاده ، أو متعامل مع احد افراده !.. وأستطيع ان اجزم بملء قلمى ولسانى ،وأنا مطمئن كل الاطمئنان الى انى لست مخطئا او مغاليا فى حكمى ، ان الستمائة مليون صينى الذين تجولت فى بلادهم – متنكرا فى بعض الاحيان – لايوجد بينهم فرد واحد يقبل جزاء غير مشروع على واجب يدخل فى اختصاصه ! .. **ولقد كان هذا الموضوع موضع «رهان» بيننا فى كثيرمن المناسبات ، فكنا نحتال بكافة الطرق كى نقنع صينيا واحدا ، من اية طبقة ، وتحت ستار اى مبرر أو حجة ، بأن يقبل من احدنا « بقشيشا » ، ايا كان مقداره ! .. لكن محاولاتنا – بل ومؤامراتنا ! – باءت جميعها بالفشل : فشلت مع خادم الفندق الفقير ، ومع سائق**

السيارة ، ونوتى الزورق ، وطاهى المطبخ ، وساعى المطار ، وفراش القطار ، و .. الخ ... كما اكد لنا رجال السفارة المصرية وغيرهم ممن قضوا فى الصين سنوات وسنوات ، ان التجربة ذاتها تكررت معهم وتمخضت عن النتيجة عينها ، فى كل الظروف والملابسات ،بلا استثناء !.. بل أضافوا ان ماالمسناه من افراد تلك الطبقات يسرى على سواهم ممن ينتمون الى طبقات اخرى ، أهم واخطر .. يسرى على الموظفين جميعا ، صغارا وكبارا ،فى كل مدينة وكل قرية ،فى طول البلاد وعرضها!

وذابت نفسى حسرة وخجلا ، وأنا أتذكر « المأساة » التى حدثت لنا مع الوفد الصينى ـ بالذات ! ـ الذى حضر الى مصر منذ عامين ، (وهى مأساة لاأجد حرجا فى نشرها ، لأنى لا أومن بسياسة النعام ، سياسة اخفاء الرأس فى الرمال !) : فقد حدث قبيل سفر ذلك الوفد الصينى ، وكان عدد افراده خمسا وسبعين ، ان اجتمع اعضاؤه البارزون وقرروا توزيع « بقاشيش » على خدم الفندق الذى كانوا ينزلون فيه ـ وهو من اكبر فنادق القاهرة ! ـ فرصدوا لهذا الغرض نحو مائتى جنيه ، وجلس واحد منهم يصرف جزئيات المبلغ لطابور الخدم والطهاة و « السفرجية » والفراشين .. وطالت العملية ، والطابور لا تبدو له نهاية .. حتى نفد المبلغ المرصود ، فاعتذر الرجل ـ وهو يذوب خجلا ـ بنفاد النقود !

فهل تعلم كيف حدث ذلك العجز ؟ .. وما تفسير لغز ذلك الطابور ؟ .. تبين ان الكثيرين من خدم الفندق المذكور كانوا يقبضون نصيبهم من المبلغ ويخرجون من الباب ، ثم يعودون من باب خلفى فينضمون مرةثانية الى ذيل الطابور ، كى يقبضوا نصيبهم من جديد ، بالغش والخداع و الاحتيال الدنىء !

وقد أدرك الضيوف الصينيون يومئذ « المقلب » القذر الذى « شربوه » ، بحسن نيتهم ، لكنهم لم يفاتحوا أحدا فى الموضوع، بشكل علنى ، وانما اكتفوا بأن ابدى احد البارزين منهم ـ فيما

بعد — ملحوظة عابرة لاحد اصدقائه من المصريين . وكان قد رافقه طيلة فترة اقامة الوفد فى مصر ، اذ اقترح عليه **« ان تشدد مصلحة السياحة رقابتها على الأجانب الذين يديرون فنادقكم الكبرى ، لأنهم فى الواقع اعداء لبلادكم ، يسيئون الى سمعتها بتصرفاتهم ، وقد يكونون فى ذلك .. عامدين ! »**

وعلى ذكر هذه الواقعة المخزية ، تحضرنى واقعة اخرى حدثت لذلك الوفد الصينى بعينه فى زيارته تلك لبلادنا ، ورواها لى احد كبار المصريين الذين رافقوه فى تنقلاته : فقد كان بين اعضاء الوفد عدد من كواكب أوبرا (بكين) وبعض فنانات اقليم (سنكيانج) المسلمات اللواتى حضرن لعرض الوان من فنونهن على مسرح دار الاوبرا بالقاهرة .. فلما جاء موعد البدء فى تجارب الفرقة طلبن الى ادارة فندق «الكونتيننتال» الذى كن يقمن فيه ان تحضر لهن سيارة اوتوبيس خاصة تحملهن ومعداتهن الى دار الاوبرا ، الواقعة فى مواجهة الفندق .. وحضرت السيارة وتولت نقلهن ، وتكررت هذه العملية ثلاثة ايام متوالية ، **فهل تعلم كم دفعت الفرقة مقابل انتقالها مسافة مائة متر ، عبر الميدان؟ لن تصدق : ٧٥ جنيها مصريا ، كاملة !.. بواقع خمسة وعشرين جنيها عن المرة الواحدة ! ..** (وأنا أهدى هذه الواقعة الى السادة المشرفين على مصلحة السياحة ، كى يعجلوا بوضع حد لهذا الاستغلال البشع للسائحين — ايا كانوا — من جانب كل من له صلة بتنفيذ مثل هذه البرامج ، من هيئات او شركات أو أفراد ، صونا لسمعة البلاد من جهة ، وتشجيعا للحركة السياحية من جهة أخرى .. وكلا الاعتبارين خطير !)

* * *

ولنعد الى ما أعجبنى — وما لم يعجبنى — فى الصين الشعبية :

قلت ان اول ما اعجبنى فيها هو شعبها .. اعجبتنى فيه دماثته وتهذيبه .. وأعجبتنى فيه أمانته ونزاهته ..



فلاحتان صينيتان تحملان المحصول على طرفى عصـــا طويلة توضع على الكتف ، كعادة أهل الصين جميعا فى حمل الأثقال

ثم أعجبتنى فيه نظافته .. حتى الزارع الفقير فى الحقل ، او العامل فى المصنع ، الذى يرتدى سترة وبنطلونا من التيل الازرق الرخيص ، تراه يغسلهما كلما اتسخا ، ويحتفظ بهما دائما فى درجة من النظافة يحسـده عليها الشخص الذى فى مستواه فى اية دولة اخرى ، غربية أو شرقية .. وقد تعمدت ان اختبر نظافة القوم فى كل منـاسبة ، فكنت حين اركب القطار أتلمس اى سبب كى اذرع عربات الطبقة الفقيرة حتى آخرها ، ذاهبا آيبا ، **وقد أذهلنى ما رأيته فى تلك العربات : مئات من المسافرين الفقراء ، من الرجال والنساء والاطفال ، من شتى الحرف والبيئات ، ليس بينهم واحـد تأنف من ان تجلس الى جواره ، أو تلمس ثيابه ثيابك، أو تشاركه طعامه!.. كل ما يمت اليهم نظيف : ملابسهم البسيطة المتشابهة ، الزرقاء أو السوداء .. وأحذيتهم ..وأمتعتهم .. ووجوه اطفالهم..**

وارض العربة التى يجلسون فيها .. الخ .. فيما عدا شيئا واحدا : المجلات الصغيرة التى فى حجم كف اليد ، التى لابد ان تتسخ من كثرة الايدى التى تتداولها . وهى مجلات تتألف كلها من رسوم وقصص مسلسلة كقصص الاطفال ، كتبت تحت كل رسم منها عبارة أو عبارتان . ويبلغ من شغف الصينيين بهذه المجلات انك اذا دخلت عربة القطار الفيت نصف الركاب تقريبا ممسكا بنسخ منها يطالعها والابتسامةعلى شفتيه ..

ومظهر آخر من مظاهر نظافة القوم ، وتهذيبهم .. مظهر قد يكون فى ذاته تافهـا ، لكنه فى نظرى كبير الدلالة : هو مظهر « فراش » القطار المتواضع الذى يمر فى العربات كى يصب الماء المغلى فى القدح الموضوع أمام كل راكب، **فانه يحرص حين يرفع غطاء القدح ، ان يضعه على المسند «مقلوبا» ـ كى لاتتسخ حافته التى ستنطبق على حافة القدح ـ** ثم يتناول « القرطاس » المغلف الذى يحتوى على جرعة الشاى الأخضر المعدة لكل قدح ، فيفضه ويفرغ محتوياته ، ثم يرفع سدادة « الزمزمية » التى بها الماء المغلى ، فيضعها جانبا بنفس الطريقة ، « مقلوبة » .. حتى يفرغ من العملية ويمضى ليكررها مع الراكب التالى ، وهكذا .. لاحظت هذه الحركات تتكرر بطريقة آلية من جميع الخدم والسقاة فى كل مكان ، فى جنوب الصين وشمالها ، فى القطارات والمكاتب والمنازل والمطارات و .. و .. الخ .. الأمر الذى يدل على تغلغل روح النظافة وانتشار التهذيب فى نفوس افراد الطبقة الدنيا من الشعب بصورة تدعو الى الاعجاب والاحترام ..

واذا كان هذا يحدث فى القطارات العادية التى ليست بها عربات مخصصة للطعام ، من اشخاص هم اقرب الى طبقة « الفراشين » منهم الى طبقة السقاة المحترفين ، **فليس عجيبا اذن ان ترى فى عربات الطعام بالقطارات بدلا من السـاقى**


ساقية ترتدى الزى الابيض الناصع فى عربة الطعام بالقطار السريع الفاخر الذى يقطع المسافة بين (بكين) وبين منطقة الصناعات الثقيلة فى الشمال الشرقى فى ١٦ ساعة !

ساقية ، ترتدى مرولة بيضاء ناصعة و ((كاسكت)) للرأس لا مزيد على نظافته

.. كما لن يدهشك بعد هذا ان ترى النظافة تراعى على أكمل وجه فى كل صغيرة وكبيرة ، فى شتى مرافق البلاد ، وفى مئات الامثلة التى لا داعى لذكرها .. بل ان ترى افراد الشعب فى مسلكهم الشخصى يلتزمون مقاييس للنظافة لم نرها او نسمع بها فى أية دولة اخرى : من ذلك انهم اذا اصيب احدهم ببرد او زكام ، او كان يعمل فى مطبخ أو معمل للالبان ، أو فى منجم او طريق زراعى كثير الاتربة، **فانه يضع على فمه وانفه ((كمامة)) واقية ، يثبت طرفيها خلف اذنيه ، (وهذه الكمامات تباع فى الحوانيت وفى كل مكان) ، والغرض منها ان تقى الناس من جراثيم زكامه أو مرضه ، أو تقيه هو من الغبار والأتربة .. الخ**

ويتفرع عن هذا الباب موضع آخر للاعجاب لمسته فى الصين، هو العناية الموفورة بمعالجة المرضى وتوفير المستشفيات والمصحات لهم فى كل مكان ، بل وتزويدها بأسباب الترف التى لم أسمع بها من قبل ، ففى اكثر من مصحة ومستشفى — ومنها على سبيل المثال مصحة الناقهين فى (هانشو) —

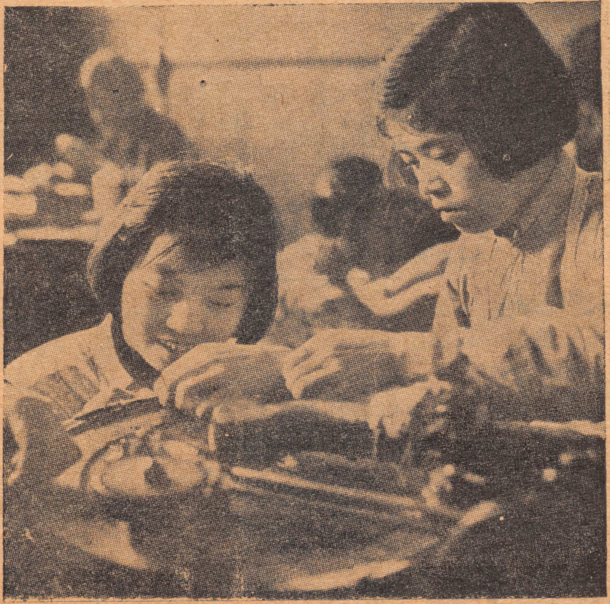


حظيرة لحلب الابقار تبدو فيها النظافة التامة ، وقد ارتدى رجالها كمامة من القماش على الوجه تمنع انتشار الامراض ، وارتدت امرأة فى أقصى الصورة معطفا أبيض كالاطباء !

رأيت قاعة فسيحة للسينما والمسرح ، اعدت وفقا لأحدث طراز ، وزودت بمئات المقاعد . والمصحة الاخيرة اقيم بناؤها الفاخر فوق ربوة عالية باحدى ضواحى المدينة ، وخصصت للمرضى بالامراض العصبية بصفة خاصة ، الذين يدفع المريض منهم ما يوازى ستة قروش مصرية فى اليوم ، وفى مقابل هذا المبلغ الزهيد يعالج ، ويزود بالدواء ، والطعام ، والفراش ، والكتب والمجلات ، والراديو ، والسينما ! .. بل لقد رأيت فى المصحة المذكورة جناحا لمعالجة المرضى الذين يشكون الأرق ، وهو مزود بأجهزة للتنويم بالكهرباء من احدث طراز فى الطب الحديث . **ورغم ان المصحة المذكورة قد فتحت للمرضى منذ عامين أو اكثر قليلا ، فان نظافة كل شبر من**

جدرانها وأرضها وابوابها وادواتها ، توحى اليك كأنك انت الذى تفتتحها بزيارتك !

وعند زيارتى لسجن مدينة (شنغهاى) ، طلبت ان أرى مستشفى السجن ، الذى يحتل بناء مستقلا من ابنيته المتعددة التى يضمها سور واحد .. **فكان أهم ما لفت نظرى فى المستشفى المذكور المخصص ((للمجرمين)) ، نظافة الملاءات التى تغطى اجسام المرضى ، الى درجة لا تراعى فى مصر احيانا مع مرضى الدرجة الاولى ، (وفى المستشفيات الخاصة ،**

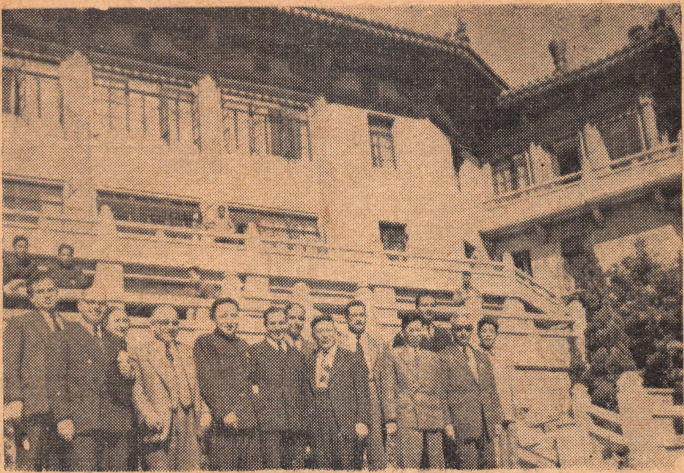


تهذيب وانتاج : سجينتان من نزيلات سجن النساء بشنغهاى ، تعملان فى صنع الجوارب بواسطة الآلات

لا المستشفيات الحكومية بطبيعة الحال !) .. ثم خرجت من عنابر المرضى لأرى «غرفة العمليات» ، فاذا هى آية فى النظافة ، مزودة بأحدث الأجهزة ، يلمع كل ما فيها براقا زاهيا ، وكأنها فى مستشفى قصر ، لا مستشفى سجن !

وقد كنت احب ، لمناسبة اشارتى الى نظافة مستشفى سجن (شنغهاى) ، ان احدثك هنا بالتفصيل عن مشاهداتى فى السجن المذكور ، وعن أنظمته ، وحياة نزلائه ، وعن سجن النساء الملحق به ؛ وبرامج الاصلاح والتهذيب والتثقيف التى تعد للمسجونين ، والصناعات المختلفة التى يتولاها الرجال منهم والنساء .. الخ .. لولا ان الحديث فى ذلك كله سيطول، ومن ثم اوثر أن ارجئه الى حينه ، عند زيارتنا لشنغهاى

وما دمنا بصدد الحديث عن تلك المصحة التى اقاموها فى (هانشو) ، فلأكمل لك وصفها ، فانها شىء جدير بالاعجاب حقا . لقد شيدوها على مساحة من الارض تبلغ ٦٨٠٠ متر مربع ، وهى محاطة من جميع نواحيها بالشرفات الفسيحة التى تشرف على مناظر طبيعية رائعة الجمال ، وروابى خضراء ، وعند اقدام التل – الذى يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ١٤٠ مترا – ينساب نهر « تشانتاو » . **وقد روعى فى اختيار مكان المصحة ان تحميها الجبال من العواصف الباردة فى الشتاء ، ويهب عليها النسيم العليل فى الصيف ، ومن ثم تجد جوها أدفأ من المدينة بأربع درجات فى الشتاء ، وألطف منها بست درجات فى الصيف . وبلغ من حرص القوم على راحة المرضى وحمايتهم من الضوضاء ان روعى فى بناء طوابق المبنى ان يكون السقف مزدوجا ، من طبقتين : طبقة من الأسمنت ، وطبقة من مواد اخرى عازلة الصوت** . والمدة المقررة لاقامة كل ناقه هى شهران ، لكن للطبيب ان يقرر اختصارها أو زيادتها وفقا لحالة المريض . والى جانب المرضى بالامراض العصبية ، تجد فى المصحة مرضى بالروماتيزم ، وضغط الدم ، وغيرهما من



الوفد الثقافى امام المبنى الرائع لمصحة (هانشو) المخصصة لناقهى لامراض العصبية والروماتيزم وضغط الدم . وقد احتفظ فى هندسة سقفها بالطابع الصينى القديم المائل ، المصنوع من الخزف ، ولم يزيدوا عليه سوى نموذج لحمامة السلام فى الزوايا والاركان .

الامراض غير المعدية . وبها عدا أجنحة العلاج بالكهرباء والاشعة والمستحدثات المعروفة ، اجنحة اخرى للعلاج بالتدليك ، والشمس ، والمياه المعدنية ، والشمع ! (ولست ادرى ان كان العلاج بالشمع معروفا فى البلاد الاخرى ام انه من أساليب العلاج الصينية القديمة ، شأنه شأن الوخز بالابر ، وهى طريقة تقليدية هناك يقولون انها تأتى بنتائج عجيبة فى علاج الكثير من الامراض المستعصية ، حتى لقد حدثنى السيد حسن رجب سفير مصر فى الصين انه يفكر فى ان يرسل ابنه بعد تخرجه من كلية الطب المصرية كى يدرس هذه الأساليب الصينية فى موطنها .)

بقى اعجب ما فى المصحة المذكورة ، **وهو عدد المرضات**

المخصصات للعناية بالمرضى .. فان هذا العدد لايزيد عن ست عشرة ممرضة ، مقابل مائتين وخمسين سريرا للمرضى ! وهى نسبة ضئيلة جدا ، لا سيما اذا ادخلنا فى الاعتبار ما بدا لنا من العناية الزائدة براحة المرضى ، وبكل صغيرة وكبيرة تتصل بهم ، ولعل اطرف تعليل علق به احد الحاضرين على ضآلة هذه النسبة، أن دماثة خلق الصينيين ووداعتهم — حتى فى حالة المرض — لا تحوجهم الى اكثر من هذا العدد من الممرضات !

وقبل أن ننتقل من الحديث عن الناحية الصحية ، تعال نسأل مرافقينا الرسميين عن بعض الاحصاءات والارقام المتصلة بهذا الموضوع ، على سبيل المثال ، ونسمع جوابهم عنها : انهم يقولون ان مشروع الخمس سنوات الاول ، (من ١٩٥٢ — ١٩٥٧)، قد أسفر عن التقدم التالى فى ناحية الصحة العامة للشعب :

زيد عدد الاسرة (جمع سرير) فى المستشفيات بنسبة ٧٧ فى المائة .. وفى المصحات بنسبة ٢٣٧ فى المائة

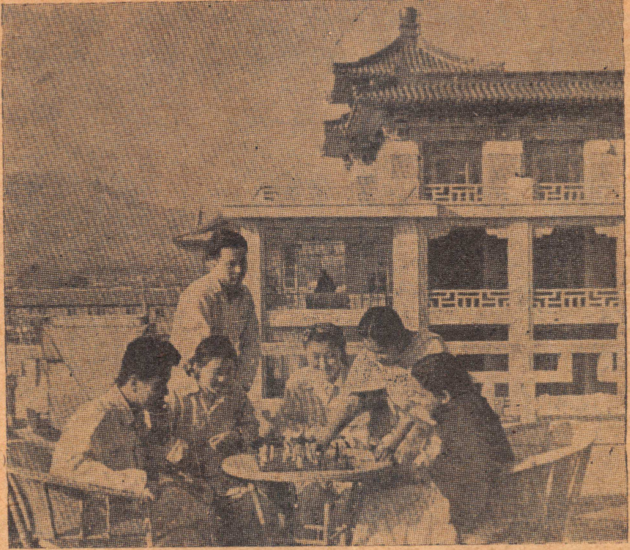
هبطت نسبة الوفيات الى النصف ، وانخفضت وفيات الاطفال من ١١٧ فى الالف الى ٣٥ فى الالف

انخفضت وفيات النساء أثناء الولادة ، فى العاصمة ، عشر مرات

« **اختفت** » اوبئة الجدرى والكوليرا والطاعون من الصين

« **اختفى** » الذباب من الصين ، نتيجة للاجراءات والحملات المشددة المستمرة بمختلف الطرق الكيمياوية والطبية ، وحرق الفضلات سواء فى القرى والمدن .. الخ . **(وانا أشهد على صحة ذلك ، اذ لم ار خلال الشهر الذى قضيته فى الصين سوى ذبابة واحدة ، صادفتنى فى احد القطارات !)**

ارتفع متوسط عمر الفرد فى الصين من ٢٥ سنة ، الى سن لم يستقر عليها الاحصاء بعد ، وان زادت عن ذلك بكثير



مرضى يقضون طور النقاهة فى احدى المصحات التى تتوفر فيها كل الكماليات ووسائل الراحة ، ومنها قاعة للسينما والمسرح

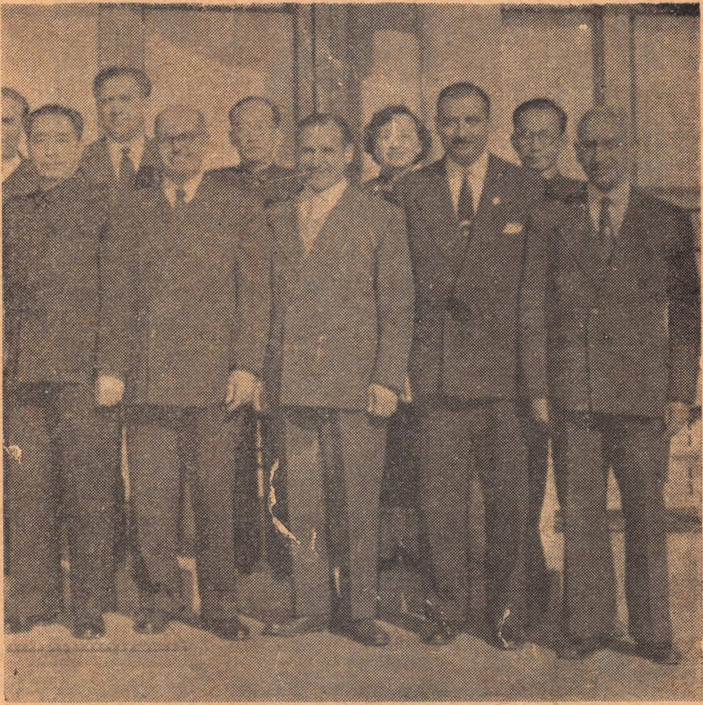
زيد عدد الاطباء فى الصين زيادة ضخمة ، والاطباء فى الصين فئات ثلاث : اطباء يتخرجون بعد التعليم العالى، واطباء يتخرجون بعد التعليم المتوسط ، ومأمورون صحيون يتخرجون بعد التعليم الابتدائى (ويتخرج من هؤلاء الاخيرين نحو نصف مليون كل عام !)

واكثر الادوية التى تتداول فى الصين تصنع فيها محليا ، (والجزء الضئيل الباقى يستورد من الخارج) . وقد زيد انتاج البنسلين مثلا فى مشروع الخمس سنوات من ١٥٣ الف انبوبة فى السنة الى ٢٩ مليون انبوبة ، (أى بنسبة ١٩ الفا فى المائة !) .. **والقاعدتان الرئيسيتان للصحة عندهم هما : ان**



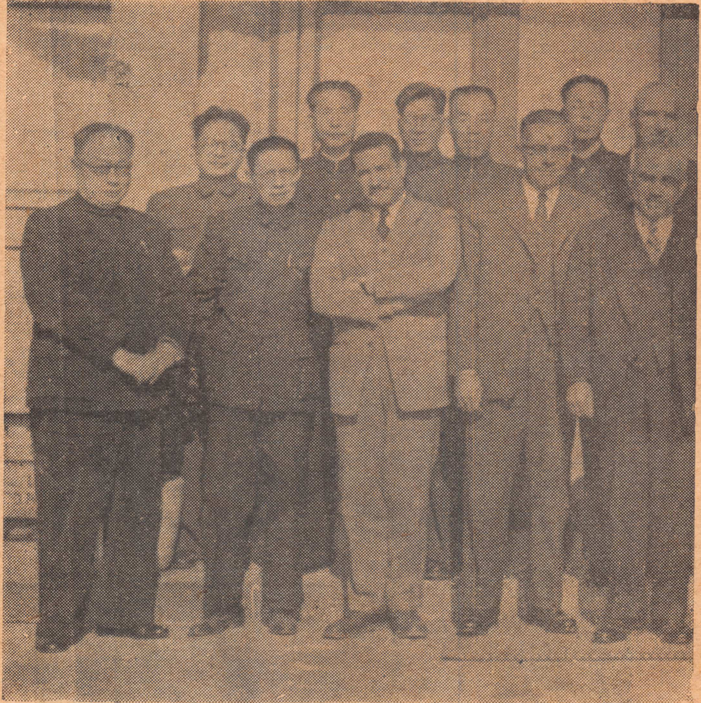
مرح الشعب الصينى يبدو على حقيقته فى صورة هؤلاء النسوة
اللواتى صعدن الى غابة جبلية ليتضاحكن وينسين متاعبهن

الوقاية خير من العلاج ، وان الطب ينبغى ان يجمع بين الاساليب الحديثة والاساليب التقليدية القديمة فى وقت واحد ! (وبهذه المناسبة ، أذكر أن الرئيس «شو اين لاى» ،



الرئيس « شو اين لاى » رئيس وزراء الصين الشعبية عند استقباله للوفد الثقافى المصرى فى مكتبه بمدينة (بكين) ، ويرى فى يسار الصورة والى يساره الدكتور احمد نجيب هاشم ، فالسيد حسن رجب (سفير مصر فى الصين) ، فالمحرر ، فالاستاذ محمود البدوى

رئيس وزراء الصين ، عنى حين قابلناه فى بكين يوم ٤ نوفمبر الماضى ، بأن يستفسر من الدكتور السعيد بوصفه مديرا لجامعة الاسكندرية (التى تضم كلية للصيدلة) ، عن مدى

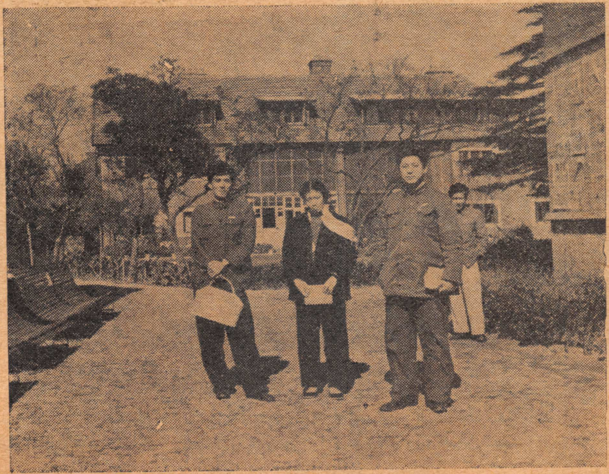


تتمة الصورة التى التقطت للوفد الثقافى عند زيارته للرئيس « شو اين لاى » ، وقد ظهر فيها من اليمين : الدكتور السعيد مصطفى السعيد ، فالدكتور محمود الحكيم ، فالاستاذ عبد المجيد شديد ، وقد ظهر فى الصف الخلفى لجزءى الصورة الاستاذان عبد الواحد على وسعيد حامد الصدر

عناية كليات الصيدلة المصرية بدراسة موضوع الاكثار من زراعة الاعشاب الطبية التى تستخدم فى تركيب الادوية والمستحضرات المختلفة ! وأسهب الرئيس الصينى فى هذا الحديث الى درجة استرعت عجبنا واعجابنا حقا بسعة أفقه ، واحاطته بالكثير من الجزئيات والابحاث « غير السياسية » !

★ ★ ★

• **وأعجبنى فى الصين الشعبية ، الاختلاط بين الجنسين فى جميع مراحل التعليم : من مرحلة «الروضة» الى مرحلة الجامعة** .. ففى شتى المدارس والمعاهد التى زرناها — سواء فى (بكين) او (شنغهاى) او (نانكنج) او (شنيانج) .. الخ — رأينا البنين والبنات جنبا الى جنب فى حجرة الدراسة الواحدة ، والمقعد الواحد ، والفناء الواحد ، وقاعة الطعام الواحدة .. الخ .. واعجبنا بروح الزمالة والاخوة بين افراد الجنسين ،



اختلاط الجنسين فى حديقة معهد الفنون الجميلة بمدينة (هانكاو)

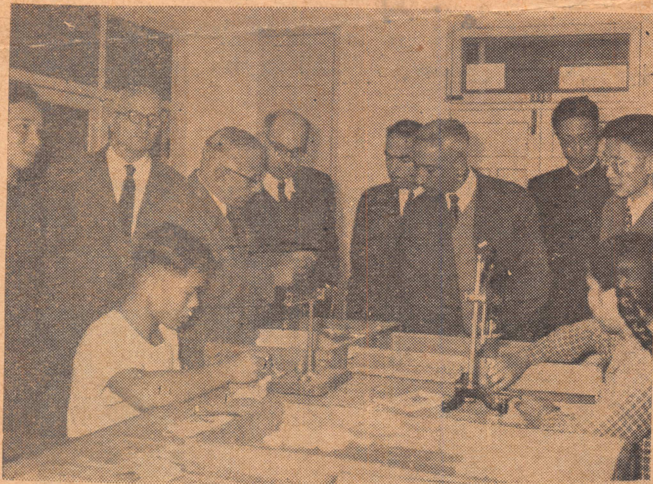
والبساطة المهذبة التى تضفى طابعها الجميل على الجميع ..
وكما تبيح الصين الاختلاط بين الجنسين فى معاهد التعليم، فقد اعجبنى فيها بالتالى انها تبيح الاختلاط بين الجنسين خارج معاهد التعليم ! .. والامر هنا يحتاج الى ايضاح ، كى لا يلتبس الامر عليك : فقد أشرت من قبل الى التقشف الذى يسود الصين فى ناحية اللهو ، والى تحريمهم الصارم لجميع انواع الملاهى الليلية ودور البغاء ، بل والمطاعم أو المقاهى التى لا ترى لها أثرا فى أية مدينة من مدن الصين ! – **وهو أمر**



اختلاط الجنسين فى أحد فصول الدراسة بمعهد التمثيل بشنغهاي



ألغيت المقاهى من جميع مدن الصين ، واستعيض عنها بمثل هذا المنتدى المقام فى حديقة قصر الثقافة فى (بكين) ، حيث ترى نفرا من الشباب يلعبون الشطرنج



اختلاط الجنسين فى احد مصانع الموازين ، وقد ظهر فى الصورة بعض اعضاء الوفد الثقافى المصرى

لا تعجبنى مغالاتهم فيه الى هذا الحد الذى يجعل مدنهم تبدو منذ لحظة اغلاق الحوانيت فى الثامنة مساء اشبه بالمدن المهجورة التى لا حياة فيها ولا بهجة !

على ان القوم فرقوا – وحسنا فعلوا – بين منع «الكباريهات» والبغاء ، اى تحريم متع الاحتراف التى تباع وتشرى ، وبين منع اختلاط الجنسين فى نطاق الحب والعواطف ، اى تحريم متع الهوى الخالص الذى لا يباع ولا يشترى ، **فأباحوا المتع الثانية على أوسع نطاق : فى الحدائق ، والمتنزهات ، والغابات ، وعلى شواطىء البحار والأنهار ..** فاذا تجولت فى حدائق (بكين) ، أو على كورنيش (شنغهاى) ، أو ضفة بحيرة هانشو ، رأيت العشاق ازواجا فوق المقاعد ، أو الحشائش ، أو فى

الزوارق التى تتأرجح على سطح الماء .. لا يزعجهم « بوليس آداب » ، أو يتطفل عليهم مشاكس دخيل ! .. فليتنا نتعلم منهم الكف عن مطاردة الشباب وتضييق الخناق عليهم فى كل مكان !

* * *

• وأعجبنى فى الصين الشعبية تقديرها للفنون على اختلاف ألوانها ، وتشجيعها للقائمين عليها والمشتغلين بها .. فالدولة هناك تسخو على فنون المسرح ، والسينما ، والاوبرا ، والباليه،



رقصة « بائعة اللبن » كما تعرض على مسارح الصين ، وهى تمثل حياة الطبقة العاملة من نساء (منغوليا)

سخاء لا مزيد عليه .. لا تبخل فيه بمال ، ولا دار ، ولا تشجيع ايا كان .. يكفى ان تعلم ان عدد مسارح الصين بلغ فى نهاية عام ١٩٥٧ : ٢٠٧٨ مسرحا ، وعدد دور السينما : ٨٩٦ دارا ، وعدد اجهزة العرض التى تعرض افلاما فى العراء ، فى القرى والميادين : ٥٢٧٩ جهازا .. ولعلك ادركت مما ذكرته



مغنية الأوبريت الصينية « كو – لان – ينج » فى أحد أدوارها ، وقد فازت بجائزة المهرجان العالمى الثانى للشباب والطلبة

لك عن مسارح كانتون الاربعة عشر المخصصة للفنون الكلاسيكية ، ومسرحها الوحيد اليتيم المخصص للفن العصرى ، لعلك ادركت من ذلك مبلغ تعلق الشعب بالفنون العريقة ، مثل فن الدراما ، وفن الاوبرا . بل انك قد تدهش اذا علمت



رقصة « باليه » رائعة يؤديها اثنان من « طلبة » مدرسة (بكين) للرقص الكلاسيكى . وتلحظ الرشاقة البديعة فى حركاتهما ، والجمال والوسامة النادرتين فى طلعتيهما .

انه فى مقابل دار الاوبرا الوحيدة التى عندنا فى مصر ، توجد فى مدينة (بكين) وحدها « عشرات » من دور الاوبرا ، عدا الدور العديدة الموجودة فى كل مدينة من المدن الكبرى الاخرى. وفى كل من هذه المدن تجد دارا واحدة على الاقل تخفض اسعار تذاكرها الى درجة تتيح للطبقات الفقيرة ان تتردد عليها . فاذا دخلت تلك الدار ألفيتها مزدحمة عن آخرها بالفقراء ، الذين جاءوا ومعهم عائلاتهم واطفالهم ! .. **ورغم وجود الأطفال فانك تلحظ من مظاهر تهذيب القوم وحسن مسلكهم انهم يلتزمون الصمت التام والسكون المطلق اثناء تمثيل الاوبرا ، بحيث اذا خطر لك ان ترمى «ابرة» على ارض المكان ، سمعت صوتها فورا !**

والصينيون متقدمون فى فن الاوبرا الى مستوى عالمى رفيع ، وعندهم عدة « مدارس » للاوبرا ذات مذاهب واتجاهات مختلفة ، لكل منها ميزتها وجاذبيتها الخاصة . وأشهر هذه المدارس هى المعروفة باسم « اوبرا بكين » ، ولها عدة فرق مستقلة احداها عن الاخرى بممثلاتها وممثليها ، بعضها يعمل على مسارح الاوبرا فى العاصمة ذاتها ، وبعضها الآخر يتنقل بين مسارح مدن الصين الاخرى .

والأوبرا الصينية ، على وجه العموم ، تتميز بالبذخ الهائل فى الثياب والمناظر ذات الالوان الصارخة ، التى تعيد ذكرى الترف القديم فى بلاط الاباطرة والاقطاعيين ، مما يؤلف مفارقة كبرى مع الزى الحالى البسيط .. وتصاحب موسيقاها الصينية التقليدية اصوات صاخبة كأصوات الصاجات أو الموسيقى النحاسية ذات الدوى الذى يصم الآذان . أما فن الاخراج فيبلغ الذروة احيانا من حيث تتابع المناظر وتنوعها ، فترى مثلا حريقا فى غابة ، يعقبه تلاطم امواج فى المحيط ، ثم

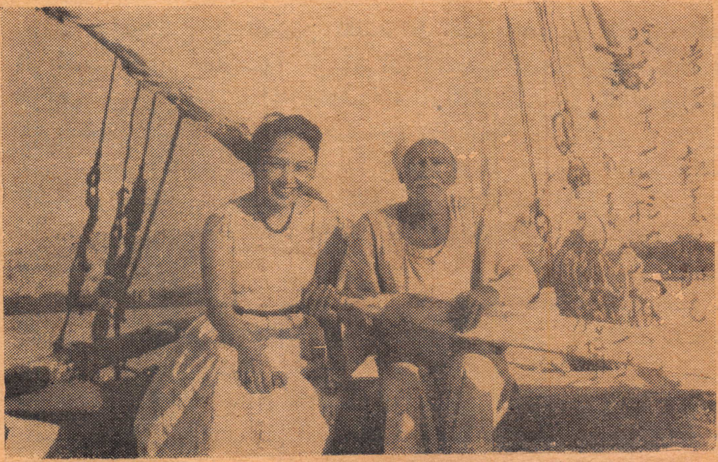
ركض جياد ، وظهور أشباح ، ومبارزات بين فرسان من التبت أو المغول .. الخ .. وترى رجالا يذكرونك فى لحظات بحضارة



فى استعراضات المسرح وروايات الاوبرا الصينية ترى فرسان (التبت) البواسل يترأشقون بالسيف كما لو كانوا فوق ظهور جيادهم وهى تركض .. ويطلقون على هذه الرقصة اسم « رقصة الفرسان » ، وهى تظهر مبلغ براعة الصينيين فى القفز والحركات البهلوانية

الصين العريقة عبر آلاف السنين ، رجالا لهم شوارب طولها أمتار ، وضفائر من الشعر تهبط من وسط الرأس الى مستوى الركبة !

.. وفى الوقت الذى يعود بك فيه فن الاوبرا الصينية القهقرى آلاف السنين ، يطفر بك فن السينما الصينية الى المستقبل طفرات واسعة ، رأيت ملامحها فى اثنين من استديوهات شنغهاى، احدهما للرسوم المتحركة الملونة والدمى المجسمة — من طراز افلام « والت ديزنى » — وسأحدثك بالتفصيل عن زيارتى لهذا الاستديو الضخم فى حينها .. والآخر استديو للتمثيل السينمائى العادى ، شهدت فيه تصوير مناظر أحد الافلام الجديدة ، وكانت بطلة الفيلم شابة ريفية يصارحها زوجها برغبته فى الطلاق ، بعد ان زار المدينة ففتنته نساؤها ! .. ونبهنى الزى الشبيه ب « البيجاما » ،



صورة تذكارية التقطت لمدام « باى يانج » أشهر ممثلات السينما الصينيات عند عبورها النيل لزيارة وادى الملوك بالاقصر فى الخريف الماضى

ــ ذات السترة والبنطلون ــ الذى كانت ترتديه البطلة الريفية ، الى حقيقة كانت غائبة عنى واستنتجتها فجأة ، وهى ان الزى الحالى الذى ترتديه نساء الصين ــ زى السترة والبنطلون ــ انما ينبع من صميم تقاليد الشعب الصينى وملامحه الريفية الاصيلة ! وكنت قد طالما ساءلت نفسى ، منذ وقع بصرى على هذا الزى ، عن سر اختياره وتعميمه .. **ذلك انه لم يعجبنى البتة ، فهو ــ من جهة ــ يفقد المرأة انوثتها وسحرها ، سيما اذا اضفنا اليه ما تقرنه به الصينية اليوم من اغفال تام لكل زينة او مساحيق !..** ومن الجهة الاخرى ، فان هذا الزى لايلائم القامة القصيرة للمرأة الصينية بالذات ،وهى قامة دون المتوسط بكثير .

* * *

• وأعجبنى فى الصين تقليد طريف ، هــو التمرينات الرياضية التى يمارسها كل افراد الشعب لمـدة ربع ساعة ، مرتين كل يوم ، فى ساعة محددة ، بارشاد مذيع فى الراديو .. ففى نحو الساعة العاشرة صباحا والرابعة بعد الظهر ، ترى كل شخص قد ترك عمله وبدأ يمارس تمريناته . يفعل ذلك الكبير والصغير ، الموظف والتلميذ وصاحب العمل ، التاجر والصانع .. فى المكتب ، والحديقة ، والمصنع ، والمدرســة ، والشارع .. الخ

ويتفرع عن هذا شغف هائل بالرياضة بجميع أنواعهــا ، ففى كل مكان ترى الملاعب ، والاندية الرياضية ، والمباريات ، وفى هذا المجال ايضا ينشرح قلبك اذ ترى الاختلاط بــين الجنسين فى ملاعب كرة السلة والتنس كاملا بهيجا ، مفعما بالنشاط والمرح .. بل انك اذا دخلت احد متاجرهم الكبيرة (Department Store) وجدت قســـما ضخما مخصصــا لبيع الادوات الرياضية لجميع الالعاب ، على نطاق واسع

وعلى ذكر المحلات التجارية ، فقد أعجبتنى فيها أشياء ، ولم تعجبنى فيها أشياء أخرى : **أعجبنى فيها تحديد الاسعار للسلعة الواحدة فى جميع متاجر المدينة بلا استثناء ـ بل وأكاد اقول فى متاجر مدن الصين جميعا ! ـ الامر الذى يريح المستهلك من «عذاب» المساومة ، والجدل ، والتحايل، واضاعة الوقت فى المقارنة بين اسعار عدة حوانيت** .. الخ .. كما اعجبنى فى المتاجر الكبرى احتواؤها على كل سلعة تخطر بالبال ، حتى المأكولات ، ومواد البقالة ، والحلوى ، والكعك ، والخبز ، والمشروبات ـ ولك ان تتصور احتواء محل شيكوريل أو صيدناوى مثلا بالقاهرة على مثل هذه الاصناف !

ولكن لم يعجبنى فى المتاجر المذكورة ان بضائعها فى العادة متشابهة فى مختلف المحلات ، لا تترك للشارى مجالا كبيرا للاختيار وتغليب الذوق الشخصى ، بحكم كونها كلها تقريبا من الانتاج المحلى للصين ، واذا وجدت سلع نادرة مستوردة من الخارج فانها تباع بأسعار باهظة غير معقولة ، تبلغ « أضعاف » ثمنها !.. من امثلة ذلك اننى اشتريت الفيلم الواحد الالمانى ماركة (أجفا) لآلة التصوير التى كنت التقط لك بها مناظر هذه الرحلة ، بمبلغ يساوى بالعملة المصرية خمسين قرشا ، فى حين اننى اشتريته من (هونج كونج) بعشرة قروش!.. أما آلة التصوير ذاتها ،وهى المانيةالصناعة، وكنت قد اشتريتهافى القاهرة منذ عامين بحوالى أربعين جنيها، فقد وجدتها معروضة فى (بكين) بـ.. بكم تظن ؟ بمائتى جنيه، ولك ان تصدق أو لا تصدق ! (ومن اجل هذا كنت دائم الانزعاج عليها كلما نسيتها أو تركتها مضطرا فى مكان . ولولا أمانة الصينيين الغريبة لسرقت منى حتما فى أية مناسبة !)

والعجيب فى الامر أن مزايا متاجر الصين، وعيوبها، على السواء، تنجم كلها عن سبب واحد مشترك ، هو انها جميعا مملوكة

للدولة .. والمتاجر التى كانت مملوكة لافراد ، عين اصحابها مديرين لها ، مقابل مرتب محدد وحصة من ثمن المبيعات .

* * *

• واعجبتنى فى برامج التعليم فى الصين الاهداف الخمسة للحب التى يلقنونهـا للنشء منذ نعومة أظفـارهم ، وفى كل مناسبة ، وقد اطلقوا عليها (Five Loves); **ـ وهم يسردونها حسب الترتيب التالى : حب الوطن ، وحب الشعب ، وحب العمل ، وحب العلم ، وحب الممتلكات العامة ..** (وما احوجنا الى تلقين هذه المبادىء للنشء عندنا ، ولا سيما المبدأ الخامس منها ، كى يمتنع كل زائر لمنطقة آثار مثلا عن حفر اسمه على احجار المعابد وجدران الاماكن الاثرية ، وكى نقضى على روح الهدم والتدمير التى توحى لكل مار فى الطريق أن يشوه معالم كل ما يصادفه ، بأى سلاح فى يده ، أو مطواة ، أو طباشير ، أو قلم ملون !.. أو .. الى « آلاف » من أمثلة هذه النزعة الشريرة التواقة الى اتلاف كل ما هو مملوك للدولـــة ، أو الحكومة ، أو « الميرى » !)

* * *

• وأعجبنى فى الصينيين ، بلا استثناء ، ترحيبهم الحـار الساذج بضيوفهم من شتى البلاد ، ولا سيما من البلاد التى تربطهم واياها علاقات مودة وأخاء ، أو تفـاهم وصـداقة ، أو ميل واعجاب .. وهم لا يصدرون فى ذلك عن مصلحة أو اغراض ذاتية ، وانما تراهم يعبرون عن ترحيبهم باندفاع عاطفى « شرقى » كريم مضياف ! .. والدليل على ذلك ان المساعدات المنوعة التى امدت الصين بلادنا بها اثناء العدوان الثلاثى ، ومنذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، كانت خليقة بان تجعلنا نتفوق على الصينيين فى العرفان بالجميل والاعراب عن الصداقة والود ، لكن ما حدث هو العكس تماما ، وانى لاعترف ـ بعد ما لقيناه



بهذه الحرارة يودعون ضيوفهم المصريين فى محطة (شنغهاى) .وعلى رأس المودعين أشهر كواكب السينما فى الصين ، ((مدام باى يانج)) . ليت كواكبنا يتعلمن منها هذه البساطة التى تبدو على محياها !

منهم من ترحيب حماسى مشكور ـ باننا ما زلنا عاجزين عن استقبال وفودهم التى تفد الى بلادنا بمثـل الحفاوة التى يستقبلون هم بها وفودنا ، أو حتى بعض هذه الحفاوة !.. **والمسألة فى رأيى مسألة طبيعة ، لا تكلف ، فقد تكون قلوبنا حارة فى الترحيب بضيفنا ، لكن مركبا من الخجـل ـ او الكبرياء ، لا أدرى ـ يأبى الا أن يدس الفتور فى اليد التى تصافح ، أو اللسان الذى ينطق!** .. أما هم، فكان الواحدمنهم حين يصافحنا ، أو الصبية منهم حين تقدم باقة الورد الينا ، تظل تهز يدنا بكلتا يديها عدة دقائق ، ولسانها يكرر كلمـة الاستقبال أو الوداع الصينية المألوفة ، مرات لا حصر لها ، فى



موكب الزهور الذى استقبلنا فى كل محطة ومطار : باقة زهر لكل ضيف !.. فهل نستقبل نحن ضيوفنا بهذه الحرارة ؟

فرحة «عصبية» عجيبة لا يمكن الا أن تكون منبعثة من القلب مباشرة .. فرحة كانت تشعرنا بالخجل من انفسنا ، ومن..

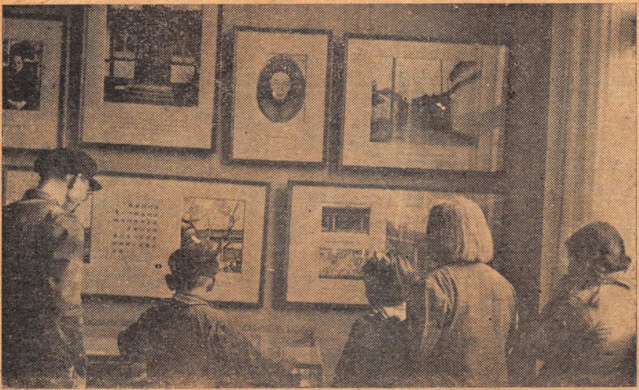
برودنا ! (**وانا أترك للعالم النفسانى الدكتور عبد العزيز القوصى أن يحلل ، ويعلل ، هذه الخلجات !**)

* * *

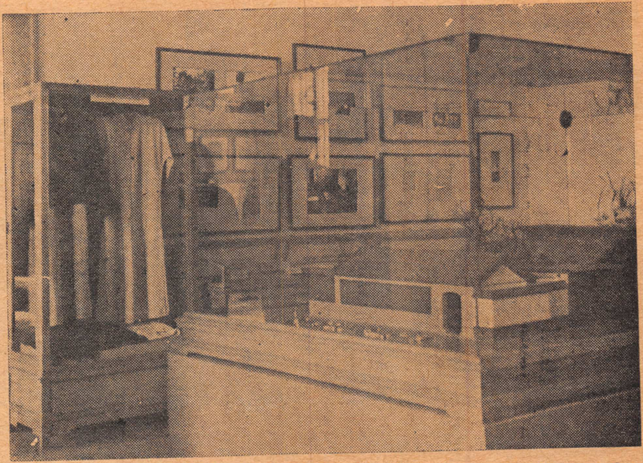
• **وكما أعجبنى تقدير الصينيين للفن وأهله ، أعجبنى تقديرهم الادب والادباء ، وللقراءة والاطلاع** . وحسبك ان تزور معى ـ عند وصولنا الى (بكين) باذن الله ـ دور النشر المتعددة ، (التى تنشر بعض المجلات مترجمة الى أربع عشرة لغة !) ، ودار صحيفة الشعب الكبرى ، وجمعيات الادباء وأنديتهم ، ومعهد اللغات الشرقية بجامعة بكين ، (حيث نلتقى بثلاثة اساتذة واربعين تلميذة وتلميذ يتكلمون العربية بطلاقة !) ، ودار الكتب العامة ، التى يضل الزائر وهو يتنقل بين طوابقها المتعددة ويتفقد مئات الالاف من الكتب ، من جميع اللغات ، التى أنشئت لها رفوف خاصة على أحدث طراز يكفل للكنوز الثمينة التى تحملها ماتحتاج اليه من تهوية خاصة ..

أقول ، حسبك أن تزور معى هذه المعالم الادبية ، وغيرها ، كى تغبط معى نصيب الادب من رعاية القوم والتفاتهم .. اما نصيب الادباء فهو احق بالغبطة ، **وأبلغ مثل على ذلك ما فعلوه تخليدا لذكرى أديبهم الاكبر « لو شون » ، (١٨٨١ ـ ١٩٣٦) ، الذى أقاموا له فى (بكين) و (شنغهاى) دارين تذكاريتين ، تتألف كل منهما من عشرات القاعات والاروقة التى تضم ـ على جدرانها ، وفى فترينات زجاجية مقامة على مناضد فى وسطها ـ اكبر عدد من التذكارات يستطيع شعب أن يتسقطه ويجمعه كى يخلد به ذكرى انسان !** .. اذكر من هذه التذكارات ، على سبيل المثال : صوره فى جميع مراحل حياته .. وصور ابيه وامه وافراد أسرته .. وزوجته وابنه .. وصور المنازل التى عاش فيها منذ ولد حتى مات ، فى

مختلف المدن والقرى الصينية واليابانية .. ونماذج من خطه فى شتى مراحل حياته ، وخط اساتذته وناظر مدرسته ، وصورهم .. وصفحات من الكتب التى درسها فى طفولته .. وصور حجرات الدراسة فى مدرسته الابتدائية والثانوية .. وصور مدرسيه وزملائه فى مدارس اليابان .. والادباء العالميين الذين شغف بهم ، ونماذج من كتبهم .. **واوراق محنطة من النباتات التى كان يحبها .. ونماذج من التحف والتماثيل التى كان يعجب بها ويقتنيها فى منزله .. ونماذج من كتبه ، ورسوم ابطال قصصه .. وعينات من ملابسه ، (من فانلاته ، وقمصانه ، وصدار له) .. وصور السرير الذى كان ينام عليه ، والمقاعد التى كان يجلس عليها .. وادوات الرسم التى كان يرسم بها غلافات كتبه .. ونسخ من مؤلفاته ، وترجماتها الى اللغات الاخرى** .. وذكريات اشتغاله بالتدريس فى جامعة (بكين) ومدرسة المعلمين ..



افراد الشعب « يحجون » الى القاعة التذكارية لتخليد ذكرى الأديب الصينى « لو شون » فى (بكين) ، وقد وقفوا يتأملون تذكاراته



لم يهمل الصينيون وسيلة لتخليد ذكرى أديبهم المحبوب «لو شون»، وترى فى « الفترينة » العليا ، الملابس التى كان يرتديها « لو شون » فى حياته . وفى « الفترينة » السفلى نموذج مجسم للبيت الذى كان يقطنه !

وصور عميد الجامعة وعميد المدرسة .. ونموذج مجسم لمنزله .. وتمثال له ، تعلوه عبارة تقدير له قالها الرئيس «ماوتسى تونج» .. وصور زيتية مختلفة له .. ونماذج من خطاباته ، وأختامه .. وصور له مع مدام «سن يات سن» ، ومع برنارد شو .. وملابسات مرضه عام ١٩٣٦ ، ثم وفاته ، وتشييع جنازته ، وحزن الشعب عليه .. و «نوتة» الالحان التى وضعت فى ذكراه .. والمقالات التى كتبت عنه ، وصور الخطباء الذين أبنوه ، والاحتفال بذكراه العشرين عام ١٩٥٦ .. وعشرات الكتب التى وضعت عنه ، بمختلف اللغات .. وصورة قبره فى شنغهاى حيث مات .. **والحدائق ، والمسارح ،**



جانب من جماهير الشعب التى اجتمعت لاستقبال الوفد الثقافى المصرى عند زيارته لمقبرة « لو شون » وتمثاله فى مدينة شنغهاى .

والكليات ، والمدارس التى سميت باسمه فى مختلف مدن الصين .. ومناظر من الافلام التى اقتبست من قصصه .. الخ

.. وعلى بعد خطوات من هذه الدار التذكارية التى اقيمت له فى بكين – والتى أقيمت اخرى اكبر منها فى شنغهاى – يقوم البيت المتواضع الذى عاش فيه «لو شون» اثناء عمله فى العاصمة ، ويتألف من جناحين من طابق واحد، تفصل بينهما حديقة صغيرة . ويضم البيت غرفة نومه ، وغرفة مكتبه ، وعدة غرف لكتبه ، وغرفة امه .. وتقوم على رعاية البيت خادم مسنة كانت تخدم المؤلف فى حياته

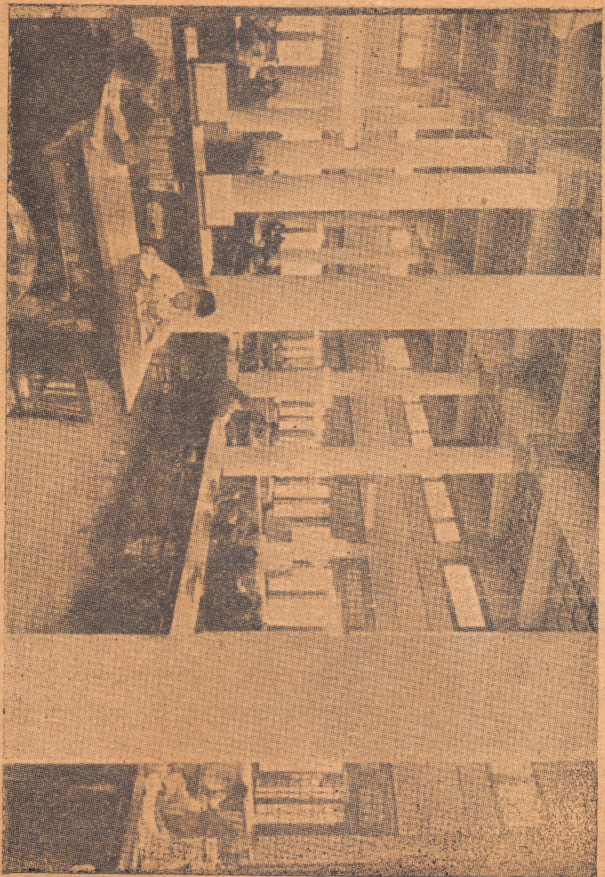
فهل رأيت مثل هذا التخليد لاديب ، فى دولة اخرى ؟



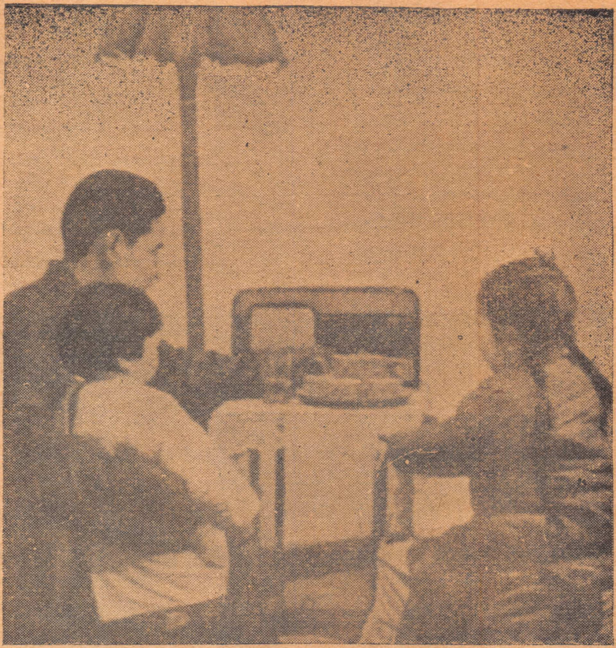
- امام الدار التى كان يقطنها ((لوشون)) ، وقف الزميل محمود البدوى والمحرر بين نفر من الزائرين الصينيين

* * *

• واعجبتنى فى الصين الروح الجامعية الصحيحة التى تسود الجو الجامعى .. فان كل فرد فى الجامعة ـ من الاستاذ الى الطالب الى العميد .. الخ ـ يساهم بساعات محددة من وقته كل اسبوع ، فى رصف طرقات المدينة الجامعية أو تنسيق حدائقها أو تجميل مبانيها ، أو أى عمل يدوى آخر يعود على الجامعة بالنفع ويزيد من رابطة التعاون بين الاسرة الجامعية كلها ! .. ومن افيد النظم المتبعة هناك ان يبيت الاساتذة جميعا فى مساكن مخصصة لهم داخل المدينة الجامعية ، وكذلك يبيت اكثر الطلبة فى مساكنهم الجماعية بنفس المدينة ـ التى تقع فى الضواحى البعيدة عن المناطق المزدحمة من البلدة ـ وهكذا يعيش الطلبة والاساتذة ويتلقون العلم فى جو واحد منعزل عن كل ازعاج ، وفى رابطة وتقارب جميلين يساعدان



احدى القاعات الفاخرة بدار الكتب فى (بكين) ، حيث ترى عددا من عشاق المطالعة منكبين على كتبهم المفضلة



أسرة تستمع الى برامج الراديو فى بيتها ، ورغم بساطة الثياب فان الذوق السليم يشيع فى كل جزئيات الصورة

على التفرغ للبحث والتحصيل وييسران على الطلبة الاسترشاد بآراء مدرسيهم

* * *

• واعجبتنى فى الصين نهضتها الصناعية والانتاجية الضخمة ، الجبارة ! .. ان الصين تنتج اليوم فى كل باب من أبواب الانتاج ، كل ما يخطر على البال من منتجات ، وصناعات

.. وقد طفت بارجاء المعرض الدائم للانتاج الصينى ، الذى شيدوا له قصرا فاخرا ضخما فى (كانتون) يعتبر من أجمل قصور المعارض العالمية، فرأيت فيه نماذج لمنتجات ومصنوعات لا حصر لها ، ولم اكن اتصور انها تصنع محليا فى الصين ! .. فالصين تصنع اليوم الطائرات النفاثة ، كما تصنع عدسات التصوير .. تصنع القاطرات وسيارات النقل ، الى جانب عدادات الكهرباء .. تصنع الثلاجات الكهربائية ، وأجهزة الأشعة والادوات الطبية .. آلات السينما ، وأجهزة



عاملة فى مصنع للنسيج تؤدى عملها امام الآلات ، وقد شاعت النظافة التامة فى ثيابها وغطاء رأسها .

تحتل جدارا كاملا وتبلغ مساحتها عشرات الامتار ، توضح سيل منتجات الصين وكيفية توزيعها فى انحاء العالم . انها **خريطة لا تملك الا ان تحس وانت تتأملها انك امام وثبة جبارة لقارة بأكملها !** .. وفى الطابق الارضى من المعرض جناح كامل لنوع آخر من منتجات الصين . انها منتجاتها الاصيلة التى اشتهرت بها منذ آلاف السنين .. منتجاتها فى فنون الخزف المطعم ، والعاج ، واليشب ، والابنوس ، واللوحات البارزة أو المحفورة على الخشب أو « اللاكار » الأسود ، والمطعمة بالصدف ومختلف الاحجار الصغيرة .. واوانى الزهر الرائعة المصنوعة من ال « كلوازنيه »



آنية جميلة من الخزف الصينى الثمين المطعم بخيوط النحاس ، وبطبقات من النقوش الدقيقة الملونة .



عدد من الفتيات العاملات فى أحد مصانع العدادات الكهربائية بمدينة شنغهاى ، منكبات على عملهن فى سكون ودأب .

المراصد الفلكية .. ماكينات الحياكة ، والساعات واقلام الحبر .. الدراجات ، وآلات النسيج والموازين .. أجهزة سنترالات التلفون ، وادوات الموسيقى ، والبيانو .. آلات الطباعة ، وادوات المائدة و «الصينى» .. الجلود ومنتجاتها ، والمأكولات على اختلاف اصنافها .. الى الف سلعة وسلعة اخرى لا سبيل الى حصرها !

وفي صدر احدي القاعات الكبرى للمعرض خريطة هائلة





فى قصور أغنى أثرياء العالم ، تجد أمثال هذه الآنية الرائعة من نماذج الفن الصينى الرفيع .

الى اليسار : تحفة من العاج كالدانتللا ، وهى نموذج لفن تفريغ العاج الذى نبغ فيه الصينيون .

العشرين أو الثلاثين نوعا مختلفة ، ينافس بعضها بعضا فى الروعة والابداع !



آنية أخرى من التحف الصينية التى يطلق عليها « كلوازنيه » ، وتثبت ألوانها بعد نقشها بواسطة أفران خاصة .

الفاخر ، وهى تحف غالية الثمن تزين قصور ملوك العالم واثريائه منذ مئات السنين .. ثم انواع « البارافان » أو الستار الخشبى الفاصل بين الحجرات ، المزين بمناظر محفورة وبارزة ومطعمة يعجز القلم عن وصف جمالها، ودقتها، ومدى ما تتطلبه من صبر وجهد ! - (وسوف احدثك عن اماكن صناعة هذه التحف عند زيارتنا للعاصمة (بكين) ، وهى أماكن تقليدية قديمة ضيقة ، اشبه بحى «خان الخليلى» فى القاهرة !)

والى جانب الانواع السابق ذكرها من التحف ، **يضم المعرض جناحا خصص لتحف اخرى لا تقل عنها جمالا ولا دقة ، هى اشغال الابرة والتطريز على الحرير والتيل والصوف ،** ويربو عدد الانواع او الفنون التى تدخل فى هذا الباب على

.. وجناح ثالث لفن آخر من فنون الصين العريقة ، هو ((فن)) صناعة السجاد . والسجاد الصينى من أغلى وأثمن انواع السجاد فى العالم ، وله طابع خاص يختلف تمامـا عن طابع السجاد العجمى مثلا، اذ يتميز فى اكثر الاحيان بالمساحات



عاملتان فى احد مصانع السجاد منهمكتان فى عملهما ، وترى احداهما وقد جمعت شعرها فى ضفيرتين ، كعادة نسبة كبيرة من فتيات الصين

الكبيرة « السادة » التى تزينها فى أحد اركانها وردة كبيرة زاهية الالوان ، أو نقش كبير رائع الجمال ، على العكس من السجاد الفارسى المزدحم بالنقوش الرفيعة الدقيقة المتداخلة . .

فاذا انتهت جولتنا فى هذا المعرض الضخم ، فتعال نصعد الى الطابق المخصص منه لاستقبال التجار القادمين من شتى بقاع العالم للاتفاق على تصدير ما يبغون من منتجات الصين المختلفة .. والطابق المذكور يتألف من ردهة طويلة لا يبلغ البصر مداها ، امتلأت بالمناضد التى يجلس اليها التجار ليتصفحوا شتى النشرات المصورة للمنتجات والصناعات المنوعة ، ويبحثوا ـ بين دخان الشاى والسجاير ـ اضخم صفقات التصدير الى بلادهم ! .. وعلى جانبى هذه الردهة الطويلة عشرات من الحجرات الصغيرة التى خصصت كل منها لفرع من فروع الانتاج أو نوع من انواع السلع ، وقد جلس فيها الاخصائيون فى السلعة المذكورة ، مزودين بكافة البيانات والنشرات الخاصة التى يتطلبها التجار

وهكذا يستطيع التاجر الاجنبى الذى «يخطف رجله» من هونج كونج الى كانتون ، ان يلم بكافة منتجات الصين ، من كل نوع ، ويتعاقد على ما يشاء منها ، خلال زيارة واحدة لمعرض كانتون الدائم الذى حدثتك عنه ، دون ان يضطر لتحمل مشقة ونفقات السفر الطويل الى (بكين) أو (شنغهاى) أو سواهما من مدن الصين البعيدة . **(وليتنا نقتبس فى بلادنا هذا المثل من امثلة «تيسير الامور» أمام كل زائر اجنبى أو تاجر يفكر فى التعامل معنا ، فى أى باب من ابواب التعامل !)**

* * *

• والآن ، تعال اعطيك بضعة امثلة ، مزودة بالاحصاءات ، عن انتاج الصين الحالى فى مجال التصنيع على وجه الخصوص:

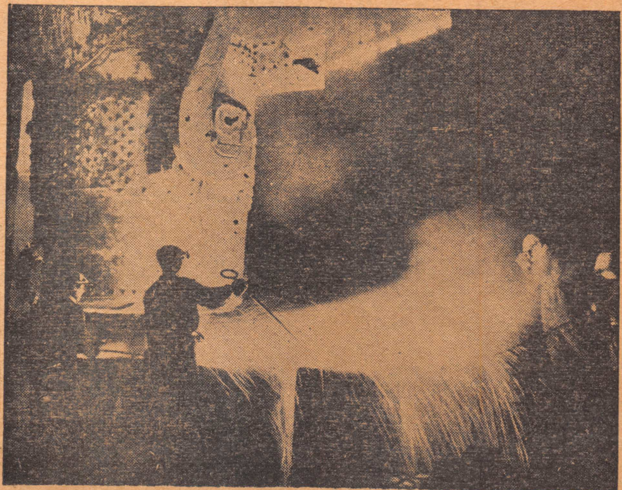
أنتجت الصين خلال عام ١٩٥٧ مائتى قاطرة سكة حديد (بخلاف عدد العربات الذى يفوق هذا الرقم بمراحل) . وكان انتاجها من القاطرات فى عام ١٩٥٢ عشرين قاطرة فقط

وزاد انتاجها من سيارات النقل فى العام المنصرم على ثلاثين الف سيارة (لورى) ، مقابل اربعة آلاف سيارة فى عام ١٩٥٢ (وهم يقدرون ان يصل هذا الرقم فى خلال خمسة اعوام الى تسعين الفا !)

وبلغ انتاجها السنوى من المحاريث ٦٨٩ الف محراث مقابل خمسة آلاف فى عام ١٩٥٢

وانتاجها من الفحم ٠٠٠ر٩٨٥ر١١٢ طن ، مقابل ٠٠٠ر٥٢٨ر٦٣ طن فى بداية مشروع الخمس سنوات

ومن البترول ٠٠٠ر٠١٢ر٢ طن ، مقابل ٠٠٠ر٤٣٦ طن



امام افران صهر الحديد ، فى مصانع الحديد والصلب بالصين

ومن القوى الكهربائية ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠٠ر١٥ «كيلو وات» ، مقابل ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٦٠ر٧ « كيلو وات »

ومن الحديد ٠٠٠ر٦٧٤ر٤ طن ، مقابل ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٠٠ر١ طن

ومن الصلب ٠٠٠ر١٢٠ر٤ طن ، مقابل ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٥٠ر١ طن

ومن المنسوجات القطنية ما قيمته ٠٠٠ر١٠١ر٥٨٣ر٥ « يوان » ـ بالعملة الصينية ـ (وتستطيع ان تقسم هذا الرقم على سبعة لتعرف الرقم بالجنيهات المصرية) ، وذلك مقابل ٠٠٠ر٩٠٧ر٨٢٨ر٣ يوان فى عام ١٩٥٢

ومن المنتجات اليدوية (التحف والسجاد وما شابه ذلك) ماقيمته ٠٠٠ر٠٠٠ر٧٧٠ر١١ يوان، مقابل ٠٠٠ر٠٠٠ر٣١٠ر٧ يوان فى عام ١٩٥٢ . (وقد زاد عدد عمال الانتاج اليدوى خلال الخمس سنوات من ٠٠٠ر٢١٨ الى ٠٠٠ر١٠٠ر٢ عامل)

وأكتفى من الاحصاءات فى هذه المناسبة بهذا القدر

* * *

• **وقد تسألنى** بعد ان سردت لك كل هذه النواحى التى أعجبتنى فى الصين الشعبية : **وما الذى لم يعجبك فيها اذن ، بالاضافة الى بضعة الأمور التى أشرت اليها فى سياق هذا الحديث ؟**

والجواب ، بمنتهى الصراحة والضمير الخالص : لم يعجبنى فيها ان حياة الفرد فيها ما تزال حتى الآن شاقة قاسية ، لأكثر من سبب :

لأن مستوى الاجور منخفض الى حد كبير .. الى حد أقل منه فى دولة فقيرة مثل مصر : فأجر عامل الطباعة مثلا فى جريدة الشعب ، (وهى اكبر صحف الصين) ، هو ٣٠ «يوان» ، اى حوالى اربعة جنيهات وربع جنيه فى الشهر .. ومرتب المحرر فيها يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ يوان ، ومرتب مدير المطبعة

١٢٠ يوان ، ومرتب رئيس التحرير ٣٠٠ يوان . ومرتب الموظف المتوسط فى مصانع الحديد والصلب ٧٥ يوان فى الشهر ، ومرتب المشرف الفنى فيها ٩٥ يوان .. وحين تسأل عن مستوى المعيشة الطيبة للشخص العادى يقولون لك انه يتراوح بين ٢٠٠ و٢٥٠ يوان فى الشهر

وقد يكون عذر القوم ان الدولة تبنى نفسها ، بعد ان تسلمت زمام الأمور فى أعقاب حكم فاسد أتلف كل مقدسات الشعوب ، وانها لكى تحقق آمال الشعب فى الرخاء لا بد ان تفرض عليه سنوات من المعيشة الشاقة والحرمان من شتى ضروب الكماليات .. والحرمان من الكثير من مظاهر البهجة.. بل انهم يقولون لك ان الحالة الآن أحسن بكثير مما كانت عليه فى العام الماضى ، والعام الاسبق ، وهكذا .. وان كل عام جديد يأتى يحمل معه شيئا من التحسين فى مستوى الاجور ومستوى المعيشة .. ولعل هذا ما يجعل الفرد هناك يتقبل كل ما يفرض عليه من تقشف ومن قيود ، قبولا حسنا ، بصدر رحب .. وابتسامة دائمة جديرة بالاعجاب

* * *

• ولم يعجبنى فى الصين الشعبية اختفاء كل انواع المقاهى والمطاعم والمشارب ومحال الحلوى .. الخ .. وانا لست من انصار المقاهى أو ممن يهضمون فكرة الجلوس فيها ساعات كاملة فى خمول ، لكنك حين تبحث فى عاصمة دولة أو فى مدينة كبرى من مدنها عن مكان تستريح فيه أثناء سيرك لتتناول قدحا من القهوة أو من عصير البرتقال ، أو شيئا من « الساندويتش » أو الحلوى .. فلا تجد مثل هذا المكان ، (اللهم الا فى الفنادق الكبرى.. ولست واثقا من انهم يسمحون للمار فى الطريق ان يدخل فندقا ليطلب شيئا من هذا القبيل) .. اقول انك حين تصادف مثل هذا العناء ، فى أمر كهذا

فسوف تقرنى ولا شك حين أقول ان الحياة فى تلك الدولة الكبرى الناهضة ما تزال حتى الآن ، شاقة قاسية ، برغم كل الخطوات الجبارة التى حققتها الدولة للشعب الذى عاش طويلا ضحية للاستغلال البشع ، والاوبئة ، والمجاعات ، والفيضانات، وفساد الحكم .. والأفيون !.. وفى مقدمة هذه الخطوات التى حققتها الدولة للشعب الغاء الجوع ، والعرى ، والحفاء ، والأمية ، والتسول .. وكل ما اسلفت الاشارة اليه من نواح جديرة بالاعجاب

* * *

• ولم يعجبنى فى الصين الشعبية ، الزى الموحد للشعب ، الذى يجعل ستمائة مليون نسمة يتشابهون فى المظهر ، فلا يبدو لكل منهم ذوق شخصى أو شخصية واضحة المعالم لأول وهلة • ورغم انى لست ممن يهتمون بالمظاهر ، فان توحيد الزى على هذه الصورة يفقد كل شخص الخصائص المميزة لعمله أو مهنته ، ويوقع الكثيرين فى ارتباكات ، اليك احد أمثلتها : عند حلولنا فى أحد فنادق مدينة (هانشو) اقبل خدم الفندق بعد حين يحملون حقائبنا ثم يضعونها فى الردهة العليا، كى «يفرز» كل منا حقائبه ويطلب نقلها الى غرفته .. فلما قيل لى أن الحقائب وصلت ، خرجت من غرفتى لأرشد الخادم الى مايخصنى منها ، واذ وجدت فى الردهة رجلا واقفا بجوار الحقائب ، حسبته أحد الخدم فأشرت له الى حقائبى كى يحملها .. وعندئذ نادى الرجل شخصا آخر وكلفه بتنفيذ المهمة .. وأدركت من فورى اننى أخطأت فى ظنى ، لكن خجلى من نفسى بلغ غايته حين تبينت انه ليس الا .. مدير الفندق !

وهكذا تجد الجميع هناك يرتدون نفس الزى ، المغلق عند الرقبة : الكبير والصغير .. الرئيس والمرؤوس .. الوزير

وساعي مكتبه .. فيما عدا فارق في نوع القماش الذى يصنع منه ذلك الزى ، وفى الطبقات الاخرى من الثياب التى تستتر تحت هذا الزى . **ولست انكر ان لهذا التوحيد فى السترة الخارجية بعض الفوائد من حيث اعفاء الفقير من نفقات القميص ورباط الرقبة ، (اذا استطاع اقتناءهما والاحتفاظ بهما على الدوام سليمين نظيفين) ، او اعفائه من مذلة الظهور بهما ممزقين ، اذا لم يستطع غير ذلك** .. اقول ، لست انكر فائدة الزى الموحد من هذه الناحية ، لكنى أعتقد ان لهذا الزى ــ فى مقابل هذه الفائدة ــ اكثر من نتيجة عكسية ، تخلق البلبلة والارتباك !

وبهذه المناسبة ، يهمنى ان اوضح هنا حقيقة قد تكون التبست عليك : فليس الزى الموحد فى الصين «اجباريا» بمعنى هذه الكلمة ، اى بقوة القانون ــ (بدليل اننى رأيت اشخاصا يرتدون الزى العادى ، وان كانت نسبة هؤلاء لا تزيد على واحد فى الألف ، أو اقل !) ــ **وانما اغلب ظنى انه اجبارى بقوة العرف ، وان الكبار ارتدوه ليشجعوا الصغار على ارتدائه ، ويكونوا قدوة لهم .. والصغار ارتدوه تيسيرا على انفسهم فى النفقات** .. وما انتشار هذا الزى فى نظرى سوى دليل على ما أشرت اليه منذ قليل ، من انخفاض مستوى المعيشة ومستوى الدخل بين أفراد الشعب

* * *

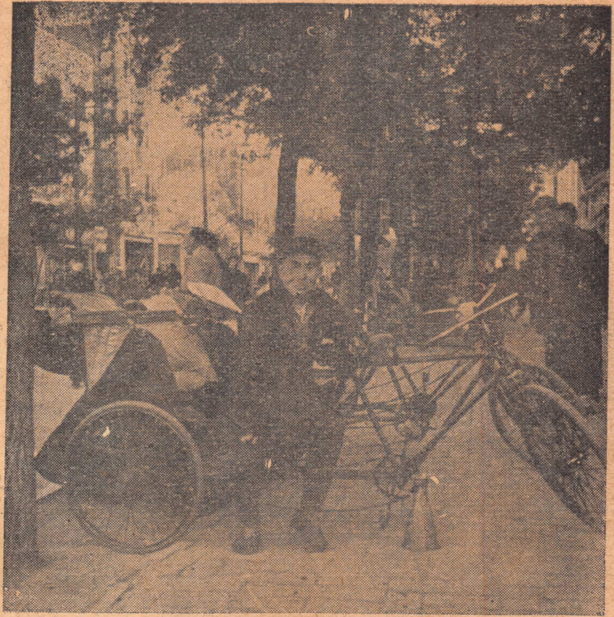
• ولم يعجبنى فى الصين الشعبية ندرة سيارات الاجرة فى الطرقات ، وعدم استطاعة الفرد استخدام السيارة منها اذا صادفها فى الطريق ، وانما يتعين عليه اذا اراد سيارة تقله الى مكان أن يطلبها بالتلفون من الجهة المختصة ، ويحدد المسافة التى ينوى أن يقطعها بها .. وأجر هذه السيارات

باهظ للغاية ، اذ يبلغ نحو خمسة وعشرين قرشا مصريا عن الكيلو الأول ! .. أما السيارات الخاصـــة فهى تكاد تكون منعدمة ، فيما عدا السيارات الحكومية والسيارات المملوكة للفنادق ـ المملوكة بدورها للدولة ـ وهى مخصصة فى الغالب للوفود المختلفة التى تزور الصين .. وسبب ندرة السيارات الخاصة ارتفاع اسعار الوقود، الناتج عن تخصيصه للصناعات، ارتفاعا يجعل من العسير على أى شخص ان يستخدم سيارة خاصـــة ..

ويتفرع عن هذا ان اكثر اعتماد الشـعب فى مواصلاته



((البسكليت)) من اكثر وسائل المواصلات انتشارا فى الصين ، تستعمله النساء والرجال ، الطلبة والعاملات ، الكبار والصغار . (وترى موظفات وعاملات احدى المؤسسات أثناء انصرافهن من عملهن)



فى موقف عربات « الريكشو » التى تجرها دراجات ، جلس هذا الرجل بعربته ودراجته على رصيف أحد شوارع (بكين) الرئيسية .

— بالاضافة الى عربات الترام والاتوبيس بالطبــــع — على وسيلتين شائعتين : **الدراجات ، وهى منتشرة هناك انتشارا كبيرا بين جميع الطبقات ، بحيث تزدحم بها الطرقات (حتى ليخصص لها جانب خاص مستقل من الشـــــوارع الكبرى الرئيسية فى العاصمة !)** .. والوسيلة الثانية هى عربات « الريكشو » التى يجرها رجل يقود دراجة ، (وليس « دابة آدمية » تجرى على قدميها كما هو الحال فى مستعمرة هونج كونـــج !)

* * *

• بقى سؤال أحس انك فى شوق الى معرفة الجواب عليه : الى اى حد تطبق مبادىء الشيوعية فى الصين ؟ وهل صحيح انها تختلف فى التطبيق عن الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى ؟

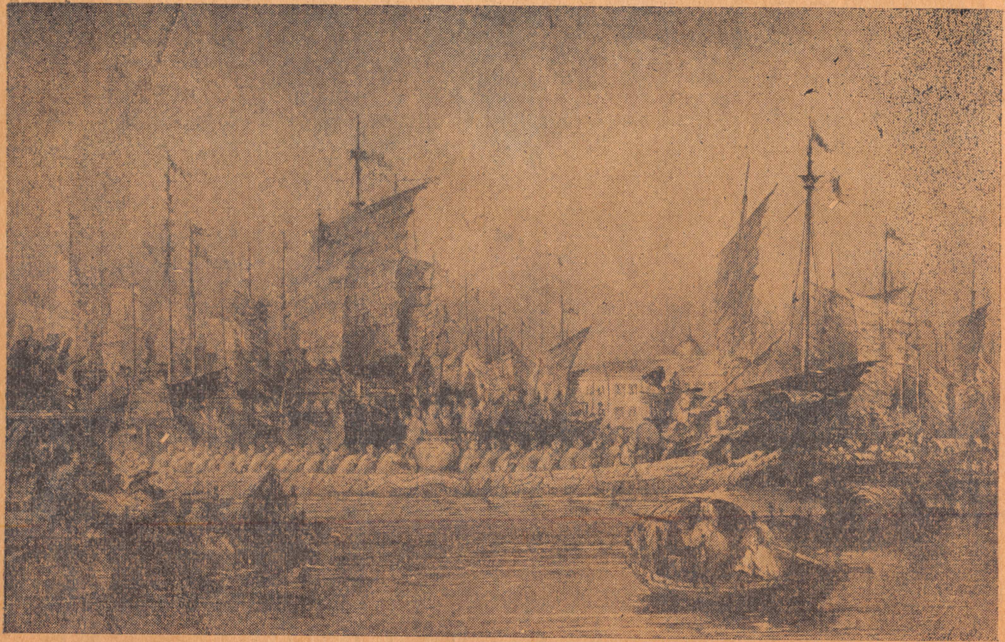
.. وأكتفى الآن بالاشارة الى حقيقة واحدة فى معرض الاجابة عن هذين السؤالين ، وهى : ان الشيوعية الصينية تسمح للشخص بامتلاك عقار واحد فقط ، هو منزله الخاص الذى يقطنه .

أما بقية ما يتصل بهذا الموضوع من تفصيلات ، فانى أوثر ارجاءها الى حين ، حتى أمهد للحديث عن نظام الحكم الحالى فى الصين ، والظروف والملابسات والدوافع التى ادت اليه ، أمهد لذلك بسرد قصة نظم الحكم السابقة فى تلك البلاد ، منذ فجر الحضارة الصينية الى اليوم .. وهى عجالة تاريخية شائقة لا بد منها كى تتابع ما سأحدثك عنه من معالم تلك الحضارة حين نزور مدن الصين الكبرى .

فتعال نقلب صفحات التاريخ ، لنعود الى الوراء آلاف السنين .. الى بداية قصة حضارة هذا الشعب العريق .. (وسنقسم هذه القصة الى مراحل ، تبدأ المرحلة الاولى منها من عام ٢٣٥٦ قبل الميلاد وتنتهى فى عام ٣٨٤ بعد الميلاد .)

* * *

• **ففى** ذلك التاريخ الاول البعيد ، بينما كانت الحضارة تتقدم وتتبلور فى مصر ، والهند ، والعراق ، كانت تتقدم وتتبلور ايضا فى رقعة اخرى ضخمة من العالم ، هى الصين ، حيث كان الفكر الفلسفى والصوفى يحلق فى مستوى شاهق . على ان حضارة الصين كانت ذات طابع خاص متميز عن الحضارات



رسم قديم محفور على الخشب يمثل مهرجان عيد « زورق التنين » ، الذى كان الصينيون القدامى يحتفلون به فى اليوم الخامس من شهر « القمر الخامس » ؛

الثلاث الاخرى ، اذ كان شعبها منعزلا عن شعوب بقية البلاد، يتطور بمفرده دون ان تكون له صلة بما يجرى فى البقاع الاخرى من العالم . فهناك ، فى وادى « النهر الاصفر » (الذى يبلغ طوله ٢٦٠٠ ميل) ، وفى وادى نهر « يانجتسى » (الذى يبلغ طوله ٣٤٠٠ ميل) كان الشعب الذى انحدر من مصدر مجهول يتجمع ويتكاثر فى عزلة عن بقية العالم ، بحكم العوائق الثلاثة التى تفصله عن الشعوب الاخرى ، وهى : صحراء (جوبى) من ناحية الشمال ، وسلاسل الجبال الشاهقة من ناحية الغرب ، والمحيط العريض المتلاطم من ناحية الشرق . **ومن ثم عاش هذا الشعب فى القرى التى أقامها لنفسه، وكان يستخدم الأدوات الحجرية البدائية ، والحيوانات التى تعيش فى المنطقة ، وفى مقدمتها الخنزير البرى.. وتعلم كيف يغزل ، ويصنع الخزف** .. وقد ظلت هذه الحضارة البدائية فترة طويلة غير متأثرة بقبائل البدو التى كانت تنحدر من الشمال فى مناطق اخرى متجهة نحو البحر ، فلم يشعر الشعب المستقر بوجود تلك القبائل من الرحل ـ التى تعرف باسم (الهون) ـ الا منذ عام ٨٥٠ قبل الميلاد ، حين دخلت هذه القبائل ارض الصين ، حاملة معها اول معرفة بمعدن الحديد ووجوه استخدامه . وهكذا يمكن القول انه اذا كانت حضارة العصر الحجرى الحديث قد أثرت فى الصين ، كما أثرت فى غيرها من البلاد ، فان هذا التأثير يقف عند حد القاء البذور ، ثم تنقطع الصلة بين الحضارتين عند هذه المرحلة ، ويواصل شعب الصين تطوير حضارته وفقا لظروفه وطبيعته ، وهو قابع فى عزلته التى تفرضها عليه الصحراء ، والجبال ، والبحر !

واستقر اولئك القوم على ضفاف النهرين الكبيرين ، اللذين كانا يمدانهم كل عام بتربة خصبة غنية بالطمى يحملانها اليهم من المرتفعات كى تغذى أرضهم . ولكن شاء سوء طالعهم ان يكون حكامهم فى اغلب الاحيان من أسوأ مستوى ، فتعاقبت



مراسم تقديم ضحية « شونج تسوى تسى » ، أو عيد « قمر الحصاد » فى الصين القديمة .

الحروب الاهلية فى داخل البلاد ، وكانت اخلاق العلية منهم مثلا سيئا للدهماء (وان لم يزد انحطاط هذه الاخلاق عن الدرك المتعارف عليه يومئذ بين علية القوم فى البلاد الاخرى !)

ولكن ، رغم تلك الحروب ، وذلك الانحطاط الخلقى ، فقد ازدهرت التجارة ، وصارت تعقد الاسواق والمعارض التجارية فى مراكز متعددة بكل منطقة ! .. ويمكن القول انه منذ اربعة آلاف سنة كانت هناك فى الصين بذور ثقافة ذهنية اتخذت مظاهرها الاولى فى معرفة الكتابة وعلم الفلك ! .. ثم استمر التطور .. **حتى بلغت الثقافة الأدبية فى الصين ، فى الفترة بين القرنين السابع والخامس « قبل » الميلاد ، مستوى يفوق ما بلغته فى أوربا حتى بداية القرن السابع عشر « بعد » الميلاد ! .. ولم يكن هذا التفوق مقصورا على الأدب وحده ، بل ان الحكم نفسه يسرى بالنسبة لكثير من الفنون التى ازدهرت فى الصين منذ ثلاثة آلاف سنة ، فى حين انها ظلت مجهولة فى اوربا الى ما قبل ثلاثمائة سنة !** .. والى جانب الادب والفن ، احرز الصينيون منذ تلك العصور تقدما فى نواح اخرى ، فزرعوا الكتان ونسجوا منه الثياب ، كما ربوا دودة القز وحصلوا منها على الحرير !

أساطير بدء الخليقة عند الصينيين

• **والتاريخ** القديم للصين محاط بضباب الأساطير ، التى تروى قصصا شتى عن بدء الخليقة ، وكيف نشأت الأرض ، والكائنات الحية التى تعيش على ظهرها . **والصينيون – شأنهم شأن العبريين – يستهلون تاريخ البشرية بخلق الرجل والمرأة ، بمعرفة الآلهة** .. ثم تتسلسل عن هذين الأبوين الأولين للبشرية شجرة ضخمة من السلالات التى عاش افرادها الأولون اعمارا طويلة للغاية . وأكثر الاحداث المنسوبة لهذه السلالات فى عرف الصينيين تبدو خرافية ، لكنها تبدأ فى اتخاذ مظهرها الجدى



موكب حفلة عرس فى منطقة (خليج الغمامة الزرقاء) ، كما كان الصينيون القدامى يحتفلون به

كلما اقترب بها العهد من فجر التاريخ .. حتى نقرأ اخيرا عن حاكم علم الشعب كيف يعيش ويحارب ، وكيف يقيم الاكواخ من اغصان الشجر ، ويولد النار من احتكاك عصاتين .. كما علمهم كيف يعتبرون الاله « تين » خالقهم وحافظهم .. ولم يلبث القوم ــ الذين كانوا يعيشون فى صورة قبائل منفصلة ــ ان اخترعوا المحراث ، وصاروا يكرسون اياما معينة للعبادة وتقديم الذبائح للآلهة ..

منذ تلك المرحلة يزداد نصيب الحقائق من تاريخ الصين ، ويقل نصيب الخرافة .. ومنذ عهد اختراع المحراث تبدأ حضارة الصين فى التقدم المتواصل ، بخطوات سريعة ..

فتخرج فى عهد الحاكم « ياوو » ، (حوالى عام ٢٣٥٦) ، من غلالة الضباب التى تغلف المراحل السابقة من تاريخ تلك المنطقة .. فنقرأ انه ــ هو وخلفه ، الحاكم « شون » ــ كانا خير قدوة صالحة للشعب ، بحيث عمت الفضيلة ربوع البلاد .. ولم يكن للجريمة وجود ! .. وازداد الشعب تعدادا ، ورخاء .. واقيمت الاسواق والمعارض فى جميع المدن .. ونزحت مياه الفيضان من الاراضى التى كانت تغرقها .. الخ

وقد طالما كان النهر الاصفر لعنة الصين وبركتها فى وقت معا ، بفيضاناته المتكررة وتحوله عن مجراه ، الأمرين اللذين كانا مجلبة للكوارث والرخاء ، جنبا الى جنب .. فكلما انحسرت مياهه الفائضة ، عن وجه الأرض ، تركت وراءها ثروة من الطمى الذى هو من التربة بمثابة الدسم من الطعام ! .. وقد حدث فى فترة من الفترات ان عكف البطل المدعو « يو » على درء خطر الفيضان عن رقعة كبيرة من الارض ، الأمر الذى استغرق منه تسع سنوات من العمل المتواصل .. فكان أن كافأه مواطنوه المقدرون للجميل بتنصيبه ملكا عليهم عند وفاة سلفه الملك « شون » ..

ثم تعاقب على عرش الصين بعد ذلك عدد من الحكام الفاسدين



رسم قديم يمثل نساء الصين يطعمن دود القز ، ويفرزن الفيالج

.. حتى ثار الشعب فى النهاية على آخرهم ، المدعو « كى » ـ عام ١٨١٨ قبل الميلاد ـ فاستأصل كل أثر له ولأسرته ، وبذلك انتهى عهد اسرة « يو » ، الملك المهندس الذى جلب ـ فى الماضى ـ الخير والرخاء للصين .

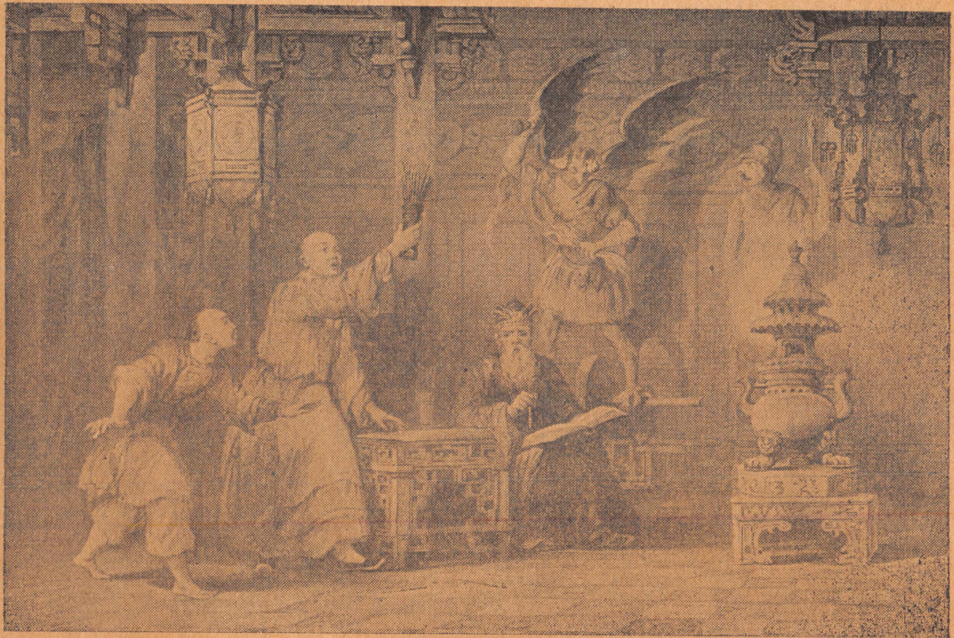
* * *

• **وجاء** فى مكان الملك المخلوع حاكم يدعى «تانج» ، (عام ١٧٦٦) ، وهو أول امبراطور للصين ينتمى الى اسرة «شانج»، فنجح بمعاونة مستشاريه الحكماء فى رد البلاد الى قدر من الرخاء .. لكن من خلفوه عادوا فجلبوا على الشعب البؤس والحرمان .. حتى ثار مرة اخرى فخلع الامبراطور ونصب المدعو « وو وانج » بدلا منه ، **وكان الحاكم الجديد ـ وهو مؤسس اسرة « شو » ـ رجلا شجاعا ، موهوبا ، فاضلا .. لكنه ارتكب غلطته الكبرى بتقسيمه الامبراطورية الى اثنتين وسبعين ولاية اقطاعية ، كى يخلع المناصب على اقربائه واصدقائه .** وسرعان ما ظهر خطل هذه الفكرة واضحا للعيان حين احتدمت الغيرة بين الامراء ، ونشبت الحرب الاهلية .. وسرعان ما اضمحلت سلطة الامبراطور وتضاءل نفوذه !

فى تلك الآونة برز أعداء آخرون خارج حدود الامبراطورية، حين ظهر «التتار» المنغوليون لاول مرة ـ عام ٩٣٦ ق.م ـ فاستغلوا فرصة الانقسام بين الامراء وشنوا على البلاد غاراتهم الهوجاء ، التى زادت الحالة سوءا وضاعفت من بؤس الشعب !

وظلت الصين قرونا تمزقها الحروب الاهلية من الداخل ، وغارات العدو من الخارج ! .. **وفيما هى على تلك الحال من التعاسة ، ولد اعظم من انجبت أرضها : فيلسوفها الحكيم «كونفوشيوس» ، عام ٥٥١ ق.م.**

كان «كونفوشيوس» فقيرا من عروض الدنيا ، لكنه من أصل رفيع ، يمتد نسبه الى ملوك اسرة «شانج» ! .. واسم



كاهن من كهنة الصين القديمة يناشد « عصى القدر » أن تنبئه بالمستقبل !

كونفوشيوس هو التحوير اللاتينى لكلمة (KUNG FU –TZE) ومعناها «السيد كونج» . وقد صادف عهده حقبة من الزمن كانت الصين خلالها تمر بظروف شبيهة بالظروف التى مر بها العالم الحديث فى عصرنا الحاضر .. فعكف كونفوشيوس على البحث عن مخرج لبلاده من متاعبها المستعصية .. **فلما هداه بحثه الى وضع يده على بيت الداء ، أو رأس البلاء ، تبين ان جهل الشعب من جهة ، وانانية حكامه وغباءهم من الجهة الاخرى ، يحولان بينهم وبين اتباع نصائحه !**

وكان فقره قد اضطره الى ان يبدأ حياته العملية كمدرس – وكان يومئذ فى الثانية والعشرين – فاتجه ، مثل افلاطون ، الى تلقين النشء مبادىء الحكومة الرشيدة والاخلاق الحميدة .. وسرعان ما جذبت حكمته وعلمه افواج التلاميذ الى المعهد الذى افتتحه لهذا الغرض – الاكاديمية – بل لقد بلغ الحماس ببعضهم الى حد مساعدته فى مشروعه بأموالهم .. فلم يبلغ كونفوشيوس الثلاثين حتى كان قد أضحى شخصية ذائعة الصيت مسموعة الكلمة ، تحظى آراؤها الانشائية السديدة باحترام الجميع !

وكانت الفوضى ضاربة اطنابها يومئذ فى وطنه ، فسأله الحاكم أن يشير عليه بما يراه كفيلا باصلاح الحال واعادة الامور الى نصابها .. لكنه حين أدلى بآرائه ، رفض الحاكم مشورته .. فما كان منه الا ان أبى بدوره ان يقبل المكافأة التى رصدت له جزاء استشارته !

* * *

• **وانقضت** خمس عشرة سنة ، تابع خلالها كونفوشيوس تعاليمه ودراساته .. ولم ينقطع عنها الا ليتولى منصب الحاكم لمدينة (شونج تو) ، فادخل فيها من الاصلاحات الكبرى ما بدل مسلك أهلها واحوالهم ، مما اثلج صدر الحاكم



البوابة الأولى لمدخل معبد « كونفوشيوس » بمنطقة (شنج هاى)

العام للولاية ، فعين كونفوشيوس وزيرا للجريمة ، (اى وزيرا للعدل) . ويقرر المؤرخون ان هذا التعيين تمخض عن نتائج فاقت كل حسبان ، **فقد توقف سيل الجرائم على الفور ، وانقطع دابرها تماما !.. بل لقد حدث انقلاب شامل فى مسلك الناس : « فأخفى الاشرار رؤوسهم فى الجحور ، وصار الرجال مخلصين ، والنساء طيعات ! »** .. فلم يلبث كونفوشيوس ان اصبح معبود الجماهير ، يمجدونه ويتغنون بحمده !

ولكن ، برغم هذا النجاح ، يدهشنا ان نقرأ ما تلا ذلك من احداث : فحين انتهت مهمة كونفوشيوس المؤقتة ، لم يجد حاكما آخر يوليه منصبا فى ولايته ، رغم انه ظل يتنقل من ولاية الى ولاية ، طيلة ثلاثة عشر عاما ، آملا ان يجد من يتخذه مستشارا له ، أو يتيح له الفرصة كى يقيم حكومة نموذجية تغدو مركزا لاصلاح عالمى !

والى العدد القادم ، كى نتابع معا قصة الحضارة الصينية ، ثم نستأنف جولتنا فى الشرق الاقصى

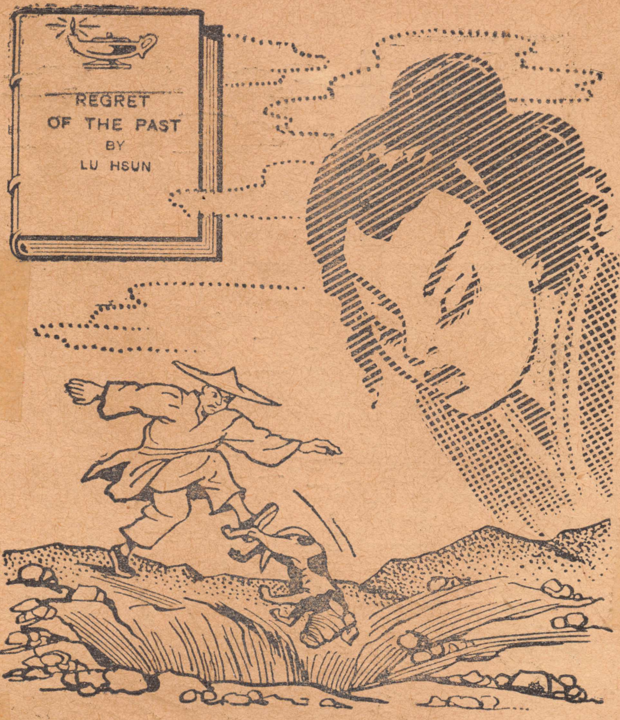


جواهر الغانية !

عزيزى القارىء ..

فى هذا العدد من « كتابى » بدأت حديثى معك عما رأيته وسمعته خلال جولتى فى ربوع الصين .. وقد كان من الطبيعى وكتابى يقدم لك هذه المادة عن الصين الشعبية فى حاضرها الناهض ، وعن الصين القديمة فى ماضيها العريق ، أن تؤدى « مطبوعات كتابى » رسالتها التكميلية ، فتقدم لك نماذج من أدب القصة فى الصين ـ القديمة والحديثة ـ فى عددها الجديد الذى يصدر بعد أسبوع .. وفى أعلى هذا الكلام عنوان ورسم لاحدى قصص العدد السبع ، وهذه القصة تمثل أدب الصين القديمة ..

والى اللقاء على صفحات العدد القادم من « مطبوعات كتابى » ..



حسرة على الماضى !

.. وهذا عنوان قصة أخرى من قصص العـدد الجديد من « مطبوعات كتابى » الذى يصدر بعد أسبوع باذن الله ، تحت عنـوان « قصص من الصين ، القديمة والحديثة » .. وهذه القصة نموذج لأدب الصين الحديثة المعاصرة ، وهى من تأليف أديب الصين الاشهر « لو شون » ، الذى رأيت فى الصفحات السابقة كيف يمجده الصينيون تمجيدا لم يحظ بمثله أديب آخر من أدباء العالم القديم أو الحديث .

والى جانب هاتين القصتين ، سوف تقرأ فى عدد « مطبوعات كتابى » خمس قصص أخرى تمثل الادب الصينى فى مختلف عصوره ، عبر القرون ، حتى يومنا الحاضر .. علاوة على مسرحية مشهورة تمثل على مسارح الصين بنجاح كبير .. وكل أملى أن أكون بذلك قد أرضيت شوقك الى الالمام بأدب هذه الدولة العريقة .. والى اللقاء ..



حلمى مراد

عضو الوفد الثقافى الرسمى لجمهورية مصر
إلى جمهورية الصين الشعبية

يقدم لك ابتداء من هذا العدد، وفى الأعداد التالية من كتابى:

رأيت وسمعت لك... فى آسيا

(فى الصين، واليابان، والهند، وسيام، ومستعمرة هونج كونج)

مشاهدات ودراسات مزودة بالصور لشتى نواحى الحياة وطبائع الشعوب ومعالم البلدان.. وتصوير شامل لحضارات أعظم وأعرق الدول الآسيوية

٤٧ يوماً قطع خلالها المحرر ٣٣٦٠٠ كيلومتر فوق السحاب وعلى أديم الأرض، متنقلا بين: بكين، وشنغهاى، ونانكنج، وهانكو، وكانتون.. وهونج كونج.. وطوكيو، وكيوتو، وأوساكا.. وبانجكوك.. وكلكتا، ودلهى، وبومباى.. الخ

تابع هذه الحلقات على صفحات كتابى
ابتداء من هذا العدد الذى بين يديك



شركة فن الطباعة ٥٨١٤٩